جامعة 20 أوت 1955 سكيكدة
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

# محاضرات

## في مادة فن الخطابة والرحلة في الجزائر

مطبوعة علمية
موجهة لطلبة
السنة الثانية ماستر

تخصص: أدب جزائري

الدكتورة:إلهام سناني

السنة الجامعية: 2025/2024

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

# محاضرات في مادة " فن الخطابة والرحلة في الجزائر"

## مطبوعة علمية موجهة لطلبة السنة ثانية ماستر أدب جزائري

إعداد: د/ إلهـــــــام سنـــــاني

الموسم الدراسي : 2024م /2025م

# محتوى المادة : مادة "فن الخطابة والرحلة في الجزائر"

| فن الخطابة والرحلة في الجزائر/محاضرة | السداسي الأول | المعامل 3 | الرصيد3 |
|---|---|---|---|

**1-مدخل عام عن الخطابة والرحلة**

**2-بدايات فن الخطابة في الجزائر**

**3-أعلام فن الخطابة**

**4- جماليات فن الخطابة**

**4-موضوعات فن الخطابة**

**6- فن الرحلة وخصوصياته**

**7- فن الرحلة في الجزائر**

**8- أعلامه**

**9- خصوصياته الفنية**

**10- موضوعات فن الرحلة في الجزائر**

**11- الرحلة نحو الحج**

**12- حضارة الشرق (الصين، الهند...) في الرحلة**

**13- دول المشرق العربي في الرحلة**

**14- الغرب(أوروبا- أمريكا) في الرحلة**

**مقدمة:**

تعد الخطابة في الجزائر من الفنون التعبيرية المهمة التي رافقت تطور المجتمع الجزائري غبر مختلف العصور، وهي تجمع بين الإلقاء البلاغي والتأثير في الجمهور، وقد استخدمت الخطابة في الجزائر خلال فترة الاستعمار الفرنسي وسيلة لنشر الوعي الوطني وتحريض الناس على رفض الاستعمار وقد برز مجموعة من الخطباء المصلحين أمثال عبد الحميد بن باديس والبشير الإبراهيمي الذين كانوا يستغلون المنابر الدينية لبعث الروح الوطنية والدفاع عن الهوية العربية الإسلامية.

كما شهدت الساحة الأدبية في الجزائر نشاطا واسعا لفن الرحلات إذ برز فيه عدد كبير من الرحالة استطاعوا ترك بصمتهم في هذا المجال فقدموا من خلال إسهاماتهم صورة عن ثقافة الآخر فدونوا في نصوصهم الرحلية كل ما وقعت عليه أعينهم ووصل إلى مسامعهم عن حقائق المسالك والممالك والبشر وما مارسوه من أنشطة مختلفة في مناسباتهم وأعيادهم وما تحويه من عادات وأعراف وتقاليد شكلت الإطار العام للمنحنى الثقافي في حياة الأم.

لذا حاولنا من خلال هذه المحاضرات تقديم لمحة عن فن الخطابة وفن الرحلة في الجزائر متطرقين إلى بدايات هذين الفنين ثم انتقلنا إلى تعريف الخطابة وأبرز روادها وخصائصها وجمالياتها.

ثم عرجنا إلى الحديث عن مفهوم الرحلة في الأدب الجزائري وخوض أدبائها في هذا المضمار إذ كان لهم نصيب المغامرة والاكتشاف، ومن أبرزهم الفضيل الورتلاني وأحمد بن عمار وابن عمار وعبد الرزاق بن حمادوش ومحمد الزّجاي ومحمد بوراس المعسكري وابن الدين الأغواطي وأحمد بن هطال التلمساني ومحمد بن رحال...إلخ، تم تعرضنا إلى خصوصياته الفنية وأهم موضوعات فن الرحلة في الجزائر، وكذلك إلى اتجاهات الرحلة في

الجزائر الرحلة نحو الحج والرحلة نحو حضارة الشرق (الصين، الهند...) والرحلة نحو دول المشرق العربي والرحلة نحو الغرب( أوروبا– أمريكا).

وأخيرا أرجو أن تكون هذه المطبوعة عونا للباحثين والطلبة ... وعسى أن تكون معينا لهم على فهم المحاضرات في هذا المقياس، ومن ثم إنجاز بحوثهم ومذكراتهم.

# المحور الأول

# مدخل عام عن الخطابة والرحلة

1- **الخطابة :**

تعد الخطابة من وسائل التعبير التي استعملها الإنسان في حياته منذ القدم، فقد خلق الإنسان باستعداد فطري للتعبير عن رأيه وإقناع غيره به، وقد كان الأنبياء والرسل أكثر من اعتمد أسلوب الخطابة في دعوتهم إلى طاعة الله عز وجل، وقد بقي من خطب الأنبياء والرسل خطب التوراة، كما عثر على العديد من الخطب في كتابات الأشوريين، وآثار المصريين الهيروغليفية[1]، ويمكن إجمال تاريخ الخطابة بما يأتي: الخطابة في العهد اليوناني والروماني اهتم اليونانيون بالخطابة، وكان أهم من درسها هو أرسطو زعيم الفلاسفة اليونان وقد قسم اليونانيون الخطابة إلى ثلاثة أقسام هي القضائية، والاستشارية والاستدلالية، ويمكن القول إن الخطابة في عهد الرومان واليونان قد تحسنت كثيرا، حيث ظهرت عند اليونانيين في حروبهم ونقاشاتهم السياسية، ففي القرن العاشر قبل الميلاد وردت الخطابة في إلياذة هوميروس وعلى ألسنة الآلهة والأبطال، وتطورت بشكلٍ أكبر في أواخر القرن الخامس قبل الميلاد في عهد برقليس زعيم أثينا، ثم ظهر خطباء عدة منهم إيسوقراطيس، وديمستينيس والذي كان في أثينا رجلا ضعيفا وخافت الصوت، إلا أنه عندما قرر أن يصبح خطيبا بدأ بتحسين صوته وتقوية حنجرته من خلال صراخه من على قمة الجبال، ومن الجدير بالذكر أنه أصبح من أهم الخطباء في عصره[2]. وقد تم تدوين الخطابة في اليونان في أواخر القرن الخامس وبداية القرن الرابع قبل الميلاد، وكان ممن دوّنها بروديكوس، وبرتاغوراس وغروجياس، أما أرسطو فقد اهتم اهتماما شديدا بهذا العلم، ولم يترك أمرا متعلقا به إلا وقد درسه ودونه، وقد ظهرت الخطابة عند الرومان بعد فترة من ظهورها عند اليونان، وذلك بسبب انشغالهم بالحروب، وكان الخطيب كاتون من الخطباء المشهورين عند الرومان، والذي كان يعرف بالنقاد، وكان يوليوس قيصر قائد الرومان خطيبا مشهورا أيضا، واشتهر من بعده شيشرون إمام الخطابة اللاتينية، كما ظهر العديد من الخطباء الرومان من الأساقفة والقسيسين وخاصة بعد ظهور المسيح عليه السلام[3].

---

[1] – محمد فيضي : التعريف بفن الخطابة، https://mawdoo3.com/ ، يوم الأحد 15 فيفري 2025م، الساعة 20:22 .

[2] – المرجع نفسه.

[3] – المرجع نفسه.

**الخطابة في العصر الجاهلي:** اهتم العرب في العصر الجاهلي بالخطابة أيضا، وقد تجلى اهتمامهم فيها باستخدام السجع، وقد اشتهر العرب في الجاهلية بدفاعهم عن أنفسهم من خلال المفاخرة والاستعراض بما كانوا يشتهرون به، وهو الفصاحة والبيان، فقد كانت الخطابة عندهم صفة فطرية في طبيعتهم، وكانوا يستخدمون الخطابة في مجادلاتهم وحواراتهم الشديدة حتى في حروبهم، وكانت الخطابة أسلوبهم الذي يستخدمونه للدفاع عن كرامتهم وأعراضهم بل وعن أموالهم أيضا، وبالرغم من أن العرب الجاهليين قد اعتنوا بالخطابة بشكل كبير، إلا أن اهتمامهم بالشعر كان أكبر، ولعل هذا هو أحد هذه الأسباب المعنية بعدم وصول أخبار خطبائهم وخطبهم، فقد بدأت أخبار الخطابة في العصر الجاهلي تنتقل وتشتهر عندما ارتفعت منزلتها إلى مكانة أعلى من مكانة الشعر عندهم، وذلك لأن الشعر أصبح وسيلة يتعاطاها العامّة والسفهاء من القوم، بالإضافة إلى استخدامه في الطعن والخوض في الأعراض، الأمر الذي أدى إلى علوّ منزلة الخطابة بالنسبة للشعر، وأصبح لكل قبيلة خطيب، وقد اشتهر أشراف القبائل بالخطابة، وكثر استخدامها في الحث على القتال، والإصلاح، وفي الوفادة على الأمراء والملوك بقصد الاستمالة والتأثير في النفوس.

**الخطابة في الإسلام:** أولى الإسلام الخطابة أهمية كبيرة، حيث استخدمها الرسول عليه الصلاة والسلام في دعوته إلى الإسلام وفي مختلف المناسبات الدينية، وقد جاء الإسلام ليهذب مبدأ الخطابة عما كانت عليه في الجاهلية من أسلوب يتباهون من خلاله بأنسابهم إلى التباهي باتباع الدين الإسلامي الحنيف، وأصبحت الخطبة جزءا من العبادة، فهناك خطبة الجمعة، وهناك الخطبة في العيدين الفطر والأضحى، كما أصبحت لها أهمية أكبر من الشعر ويعود الفضل في علوّ قيمة الخطابة في الإسلام إلى القرآن الكريم، والحديث النبويّ الشريف، فأصبحت الخطب في ظلّ الإسلام تدعو إلى اتباع الدين والتمسك به، وتدعو إلى العمل للآخرة، وتهدف إلى إعلاء كلمة الحق، كما أنها أصبحت تحذر المسلمين من الانحدار والانزلاق في طرق الشهوات والزلات، وقد وصلت الخطابة في ظل الإسلام إلى أسمى مكانة، وأعلى طبقات البلاغة، وكانت أسلوبا مؤثرا ومتينا ومقنعا، وخاصة خطب الصحابة والخلفاء الراشدين والتابعين، مثل زياد بن أبيه، والحجاج بن يوسف، وأبي حمزة الشاري ومن أهم أنواع الخطابة: الخطبة الدينية: هي الخطب التي تخص رجال الدين، ومن الأمثلة عليها خطب الأعياد. الخطب القضائية: وتشتمل على المرافعات، والاتهامات

والادعاءات، وغالبا ما يكون مصدرها المحامين. الخطب العسكرية: وغالبا ما يلقيها رؤساء الأنظمة العسكرية وقادة الجيوش. الخطب الجدلية: وهي ما تشتمل على التفاخر والتنافر. الخطب السياسية: وهي الخطب التي يلقيها القادة ورجال السياسة. الخطب العلمية: وهي ما تشتمل على الأمور العلمية والمناظرات آداب الخطيب وصفاته لا بد للخطيب من أن يتحلى بالعديد من الآداب والصفات التي يجب أن يوظفها في خطبته لكي يستميل نفوس السامعين ويقنعهم بسداد رأيه، ومن هذه الصفات والآداب القدرة على التودد للناس لاستمالتهم وإقناعهم، والتحلي بصفة الوقار، والأمانة، والصدق، والهمة العالية والوفاء، وذلك ليُقبل الناس على سماع الخطيب والاقتناع بكلامه. طلاقة اللسان وامتلاك موهبة التحدث بلباقة ودون التمتمة، والبعد عن الثرثرة والكلام الذي لا داعي له، الرأي السليم والقدرة على تمييز الأمور وحل المشكلات السيرة الحسنة، واللهجة الصادقة في الحديث، بالإضافة إلى الاستقامة والإخلاص في الأعمال. سرعة البديهة والقدرة على المجاراة في الحديث واستدراك الأمور، الاطلاع على مختلف الأمور المرتبطة بالدين والدنيا، وسعة المعرفة وتشعبها والإلمام بالعلوم، الهيئة الحسنة وارتداء الملابس المناسبة والعناية بالمظهر القدرة على إثارة مشاعر وعواطف الآخرين، واستمالة قلوبهم لما يقول ويخطب به، المعرفة بالقرآن الكريم وأحكامه وبالحديث النبوي الشريف والسنة، الصوت الحسن والمريح والمقبول بالنسبة للسامعين، الجرأة في الكلام وعدم الخجل أو ضعف القلب، الذكاء والفطنة والعقل السليم.

**2- الرحلة:**

عرف الإنسان التنقل والحركة منذ القديم لأغراض مختلفة، وخاصة العرب في ظل الطبيعة الصحراوية البدوية التي تحتم عليهم التنقل والترحال من مكان إلى آخر لعدة أسباب، فبعد أن استقرت الدولة الإسلامية وبسط نفوذها فبدأ العرب يقبلون على ترجمة الكتب الغربية ونقل ثقافات أصحاب الحضارات القديمة ما يتماشى مع الدين الإسلامي "من مؤلفات لأرسطو وأفلاطون جالينوس وأبقراط وبطليموس الجغرافي إلى جانب كثير من كتب الفرس والهند".[1]

[1]- عبد الفتاح محمد وهيبة: جغرافية المسعودي بين النظرية والواقع، القاهرة، سلسلة المعارف، الإسكندرية، مصر، 1995م، ص12.

اهتم العرب بوصف البلاد التي يقومون بفتحها ويسطرون أخبارها وخاصة "في العصر العباسي ينقلون ما عند الأجانب من معارف وعلوم ما عرفه الفرس والهنود والإغريق عن العالم القديم، خاصة من مواجهة الجغرافيا...".

كان اهتمام العرب بالجغرافيا كبيرا جدا خاصة بعد الاطلاع على كتب الجغرافيا للأمم الغربية والترجمة لهم وكان هناك نقلا عن جغرافية (بطليموس ) للأمم الغربية والترجمة لهم وكان هناك نقلا عن جغرافية بطليميوس "ولا نصل إلى عصر المأمون هارون الرشيد حتى يبدأ تأسيس علم الجغرافيا العربية، فتوضع خريطة للعالم على أساس بطليموس، ثم يأخذ العرب في التأليف الجغرافي"، فأخذ العرب المسلمون في وصف وتدوين أخبار دولتهم الكبيرة ورسم حدودها من جميع الجهات المحيطة بها، خاصة في ظل توسيع الرقعة الجغرافية للدولة الإسلامية والفتوحات التي قام بها المسلمون[1].

وبهذا يمكن القول أن هذه الكتب الجغرافية تميل إلى الأدبية أكثر أي كتب أدبية "تعتد على المشاهدة وحكاية ما رآه الجغرافي تحت عينه وسمعه بأذنه، وهي من هذه الناحية أقرب إلى أن تكون كتب الرحلات منها إلى أن تكون كتباً جغرافيا"،[2] باعتبار أن الكتب الجغرافية تعتمد على الموضوعية أكثر من اعتمادها على الذاتية فيحين أن أدب الرحلات يميل إلى الذاتية والابتعاد عن الموضوعية ونجد في هذا مجال الكثير من الكتب لرحالة جغرافيون يصورون لنا مشاهداهم وأخبار جغرافية وتاريخية فمثلا نجد كتاب المسالك والممالك لابن حوقل في هذا الكتاب "أطلعنا ناب حوقل على حياة أهل البلدان التي وصفها بجانب ما تحدث عنه من المسالك، فكتابه ليس كتاب سرد جغرافي، وإنما هو رحلة كبيرة في العالم الإسلامي".[3]

---

[1]– شوقي ضيف: الرحلات، دار المعارف، القاهرة، ط4، ( د، ت)، ص11.

[2]– المرجع نفسه، ص12.

[3]– المرجع نفسه، ص15.

كذلك كتاب "أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم "للمقدسي"" هذا الكتاب الجغرافي يرسم لنا مشاهدات وأخبار وعجائب، "وكأنه مخيلة المقدسي من مخيلات اللاقطة التي تلتقطه كل ما تشاهده وتسجله".[1]

ومن الكتب التي اشتهرت كون لها صدى كبير في أدب الرحلة "نزهة المشتاق في اختراق الآفاق" "للإدريسي"وهو يتبع الطريقة العربية، طريقة العرفي الجغرافي القائم على المشاهدة وتفصيل أحوال الأمم والسكان، وبيان ما بكل بلدة من عجائب البنيان والآثار"، هذا الكتاب كغيره من الكتب التي ترسخ لنا مشاهدات الرحالة أو الجغرافي فيما رآه حيث يقوم بتدوين كل ما تمت مشاهدته ليخرج لنا كتاب غني بالمعارف والأخبار.[2]

ومن الكتب التي عرفت كثيرا في أدب الرحلات قديما ولا يزال صداه في عصرنا الحالي كتاب "آثار البلاد وأخبار العباد للقزويني" يعتبر من الكتب القيمة وله العديد من الكتب في الجغرافيا والفلك والتاريخ" وهو لا يقفكما وقف المقدسي عند المملكة الإسلامية، بل يضم كما ضم الإدريسي ذكر كل البلدان الأوروبية، ويجمع من هنا وهناك غرائب كثيرة عن العالم" ، فالقزويني لم يكتفي بتصوير مشاهداته في البلاد الإسلامية وإنما تعداه إلى بلدان أخرى عديد ة وغير تابعة للعالم الإسلامي.[3]

ومن الرحلات العربية "رحلة التاجر سليمان" رحلته كانت رحلة بحرية وليس رحلة برية "وكانت طريقه إلى المحيط الهندي، فالمحيط الهادي، يصف هذه الطريق وما شاهده فيها من جزائر وغيرها"، كانت هذه الرحلة من الرحلات القديمة العربية البحرية وصف فيها الرحالة طريقه في البحر من نقطة الانطلاق حتى لحظة الوصول ضمنت مشاهداته من جزر وما يحيط بها وغيرها من المشاهدات.[4]

---

[1]– شوقي ضيف: الرحلات، م س، ص19.

[2]– المرجع نفسه، ص12.

[3]– المرجع نفسه، ص21

[4]– المرجع نفسه، ص29.

فقد كان للعرب العديد من الرحلات البحرية والبرية كانت هذه الرحلات مختلفة الوجهات، ومن الرحلات كذلك نجد رحلة "أبو حامد الأندلسي في شرق أوروبا" فطاف بإفريقيا الشمالية وصقلية، وزار مصر والشام والعراق..."، ومن الرحالة أيضا أسامة بن منقذين الصليبيين أيضا "عبد اللطيف البغدادي في مصر" وصف قحطا أصاب مصر في تلك المدة، وقد بالغ في وصفه، وقال إن الناس كانوا يأكلون لحوم الموتى!"، وفي هذا الوصف مبالغة حيث صور بشاعة المنظر في كتابه "الإفادة والاختبار في الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر".[1]

ومن أشهر الرحلات العربية والمعروفة رحلة ابن جبير " تقصي ما شاهده في طريقه إلى حجه وعودته منه، وهي مكتوبة على شكل مذكرات يومية، فمع كل مشهد وكل بلدة وتاريخ باليوم والشهر".[2]

وكانت رحلة "ابن جبير " نحو الحج من الرحلات الحجية المشهورة فقد دون كل مشاهداته بدقة وتفصيل حتى أنه لم يغفل التاريخ باليوم والشهر هذا حرصه على نقل ما رآه بدقة متناهية وأسلوب رائع وجهل فابن جبير لم يكتف بهذه الرحلة فقط فقد كانت له العديد من الرحلات، "رحلة ابن بطوطة" كانت "طريقه إلى مصر مع قافلة من قوافل الحجاج، وعرفوا فيه علمه وفقهه، فجعلوه قاضيا عليهم، ولما وصل إلى الإسكندرية طاف بمشاهدها وزار علمائها وعبادها"، فقد قام ابن بطوطة بزيادة مصر واهتم بأدق التفاصيل لينقلها إلينا بكل مصداقية ولم يكتف ابن بطوطة بهذه الرحلة فقد كانت له عدة رحلات فقد كانت له رحلة إلى الشام والأناضول وآسيا الصغرى، ينقل لنا مشاهداته وما رآه من عمران ومناظر يصورها لنا في قالب مليء بالأخبار والعجائب.[3]

---

[1]– شوقي ضيف، الرحلات، م س، ص603.

[2]– المرجع نفسه، ص71.

[3]– المرجع نفسه، ص72.

من خلال ما تطرقنا إليه عن بداية أدب الرحلة أو بالأحرى عن أدب الرحلة في القديم، حيث أشرنا إلى بعض الرحلات والرحالة العرب خلال فترات الازدهار والتقدم، وعلى الرغم من المكانة التي حظي بها هذا الأدب قديماً، إلا أنه شهد فترة من الركود في مراحل لاحقة، إلا مع قدوم عصر النهضة الحديثة، عاد أدب الرحلة إلى الواجهة ليستعيد ازدهاره من جديد.

# المحور الثاني

# بدايات فن الخطابة في الجزائر

**- ا لخطابة:**

تعد الخطابة من أبرز فنون النثر في الأدب العربي، وقد كانت ميادينها وأغراضها متعددة تشمل الدين والسياسة والاجتماع والعسكرية ونحو ذلك، وقد ألفت في هذا المجال العديد من الكتب.

وقبل أن نلج عالم الخطابة في الجزائر نحاول الإشارة إلى المعنى اللغوي والاصطلاحي لهذا الفن:

**لغة:** جاء في معجم لسان العرب لابن منظور: "الخطابة، خطب فلان إلى فلان فخطّبه وأخطبه أي أجابه، والخطاب، والمخاطبة مراجعة الكلام، والخطبة: مصدر الخطيب، وخطب الخاطب على المنبر واختطب يخطب خطابة واسم الكلام: الخطبة خطبت على المنبر خطبة والخطبة عند العرب الكلام المنثور المسجع ونحوه والخطبة مثل الرسالة التي لها أول وآخر".[1]

وجاء في أساس البلاغة للزمخشري " خاطبه أحسن الخطاب، وهو المواجهة بالكلام ومن المجاز، فلان يخطب عمل كذا، يطلبه، وأخطبك الأمر، وهو أمر مخطب ومعناه أطلبك من طلبت إليه حاجة فطلبني"[2].

وقد حاول ابن وهب من خلال كتابه " البرهان" أن يوضح مصدر اشتقاق الخطابة قائلا" مأخوذة من خطبت ، أخطب، خطابة... واشتق ذلك من الخطب، وهو الأمر الجليل، لأنه إنما يقام بالخطب في الأمور التي تجل والاسم منها خاطب مثل راحم، فإذا جعل وصفا

[1] – ابن منظور : لسان العرب، دار صادر بيروت لبنان، ط4، 2005، المجلد5، ص 98.

[2] – الزمخشري: أساس البلاغة، دار الفلك، بيروت، لبنان، 200، ص ص 167، 168.

لازما قيل خطيب والخطبة الكلام المخطوب به، والخطابة والخطاب اشتقاق من الخطب والمخاطبة لأنهما مسموعان[1].

بينما وردت كلمة " خطب" في القرآن الكريم في قوله تعالى﴿ وَشَدَدنَا مُلكَهُ وَءَاتَينَٰهُ ٱلحِكمَةَ وَفَصلَ ٱلخِطَابِ ﴾[2] وكذلك في قوله تعالى ﴿ رَّبِّ ٱلسَّمَٰاواتِ وَٱلأَرضِ وَمَا بَينَهُمَا ٱلرَّحمَٰنِ لا يَملِكُونَ مِنهُ خِطَابا ﴾.

**اصطلاحا:**

لقد تعدد مفاهيم هذه الفن الأدبي فقد حظي باهتمام المناطقة والفلاسفة والأدباء ويعرفها أرسطو بقوله:" القدرة على الكشف نظريا في كل حالة من الحالات، عن وسائل الإقناع الخاصة بتلك الحالة، وقد يستطاع الإقناع بالحق أو بالباطل"[3]، كما يرى أن الخطابة " قوة تتكلف الإقناع الممكن في كل واحد من الأمور المفردة "[4].

عرف أبو البقاء الخطابة بقوله: الخطابة في اللغة كالخطاب وهي الكلام النفسي الموجه نحو الغير للإفهام، وفي اصطلاح الحكماء[5] والمنطقيين هي" القياس المؤلف من المظنونات أو المقبولات لترغيب الناس فيما ينفعهم من أمور معاشهم أو معادهم، والمظنونات هي الأمور التي يحكم العقل فيها حكما راجحا اتباعا لغلبة الظن كقولك فلان يطوف الليل فهو لص، والمقبولات هي الآراء التي يكون مصدر التصديق فيها وقوعها ممن لا شبهة في

[1] – إسحاق بن إبراهيم بن وهب: البرهان في وجوه البيان، مطبعة الرسالة، بيروت، لبنان، 1969م، ص 79.

[2] – سورة ص، الآية 20 .

[3] – محمد غنيمي هلال: النقد الأدبي الحديث، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1973م، ص98 .

[4] – أرسطو: الخطابة، تحقيق وتعليق عبد الرحمن بدوي، وكالة المطبوعات، دار القلم، بيروت، لبنان، 1979م، ص09.

[5] – رامي منير: الخطابة عند العرب، دار الفكر العربي، بيروت، لبنان، ط1، 2005م، ص 7.

صدقه مع كونها قابلة للأفكار، وتطلق الخطابة بمعنى الخطبة على الكلام المنثور المسجوع أو المزدوج أو المرسل الذي يقصد به التأثير والإقناع[1].

كما جاء في تعريف عبد الله بن الفضل الأنطاكي في كتابه المنفعة غاية الخطابة بأنها تتلمس إقناع السامع في أي أمر كان، والإقناع حسب قوله نوعان منطقي وخطابي، فالمنطقي غايته إذعان العقل لنتيجة مبنية على مقدمات تثبت له صحتها[2].

كما عرفها ابن سينا:" إن الحكماء قد أدخلوا الخطابة والشعر في أقسام المنطق، لأن المقصود من المنطق أن يوصل إلى التصديق، فإن أوقع التصديق يقينا- فهو البرهان- وإن أوقع ظنا محمولا، على الصدق فهو الخطابة أما الشعر فلا يوقع تصديقا، لكنه لإفادة التخييل الجاري مجرى التصديق، ومن حيث إنه يؤثر في النفس قبضا أو بسطا، عد في الموصل إلى التصديق والتخيل عنده إذعان للتعجب، والالتذاذ تفعله صورة الكلام" [3].

وفي تعريف آخر:" الخطابة هي فن من الفنون النثرية عند العرب قوامه الكلمة الفصيحة والعبارة البليغة، يعتمدها الخطيب لإقناع سامعيه بصواب فكرة أو نشر مبدأ أو عقيدة... مستعينا على إبلاغ غرضه بما يضاعف ويساعد طاقة النطق الشفهي من نير مستساغ وإشارة موحية وصوت إيقاعي مؤثر وكل ما يستطيع أن يستحوذ به قلب جمهوره من بث العاطفة وإثارة الخيال، ويستهوي عقله منطق سديد وبرهان أكيد من وحجج لا يقف بوجهها ريب ولا شكوى " . يمكن القول أنها جنس أدبي ينماز بفصاحته وبلاغته وقوة حبكه

[1] – محمد أبو زهرة: الخطابة أصولها تاريخها في أزهر عصورها عند العرب، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، 1433هـ/ 2012م، ص 15.

[2] – رامي منير: الخطابة عند العرب، م س، ص 7.

[3] – محمد أبو زهرة: الخطابة أصولها تاريخها في أزهر عصورها عند العرب، م س، ص 15.

وصياغته، يخاطب المستمعين فيأخذ نفوسهم ويستحوذ على عقولهم وقلوبهم لما له من سبيل الإقناع السديد والقول المفيد بالبرهان الأكيد[1].

وبمعنى آخر : فن التعبير عن الأشياء بحيث أن السامعين يصغون إلى ما يقوله المتكلم في موقف رسمي مختلف عن المجالس المألوفة في الحياة اليومية، وهي تشد عادة الرابط بين أذهان السامعين من جهة، والأفكار التي تناهي إليهم من جهة أخرى، وهذا يفرض على المتكلم أن يكون ذا ثقافة واسعة ليتوصل إلى تنسيق خطبته وتوضيح الأفكار التي يعالجها وطريقة عرضها لتتوقف مع المحرضات النفسية والعقلية في الجمهور[2].

لقد تم للجزائريين معرفة هذا النوع الأدبي عندما كان سادتهم يتحدثون لغة المواطنين ويحدقونها، وعندما كان علماؤهم متمكنين من قواعد اللغة متمرسين على استعمالها، فإذا ارتجلوا أجادوها بفصاحة لسان وقوة كلمة[3].

ولكن مع الاحتلال الفرنسي انحصرت الخطابة وتقلصت نتيجة للظروف السياسية التي قيدت الخطباء فحدّت تعبيرهم وأنشأت قوانين القمع والرعب[4]، إضافة إلى ضعف المستوى الثقافي.

كانت الخطابة أثناء الفترة الاستعمارية تنقسم إلى أربعة أقسام على الأقل وهي الخطب السياسية الجهادية، والخطب الدينية، والخطب الإصلاحية، والاجتماعية، والخطب التعليمية والتأبينية[5].

---

[1] - محمد التنوخي : فن الكتابة والقول، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط 1 ، 1423هـ / 2000م، ص 183.

[2] - جبور عبد النور: المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، (د، ط)، (د، ت)، ص 103.

[3] – أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، ص 202.

[4] – المرجع نفسه : ج8، ص 104.

[5] – المرجع نفسه : ج8، ص 104.

في العهد الأول ارتبطت الخطابة بزعماء المقاومة وعلى رأسهم الأمير عبد القادر الذي كان خطيب الأمة وخطيب الجهاد وخطيب الصلوات، أول خطبة ألقاها تتمثل في قبول البيعة والحث على الجهاد والطاعة .

خاطب الأمير عبد القادر زعماء القبائل والأعيان وممثلي العشائر والعلماء، بعد ذكر بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة على رسوله بقوله:" إني لست لأفضلكم خلقا وشجاعة وحكمة، ولم يخطر لي هذا المنصب يوما ولكني أجبرت عليه كما تعلمون، فهو مسؤولية أمام الله وأمامكم، وأرجو من الله تعالى التوفيق والعون، لتطهير البلاد من الغزاة، ورفع راية الإسلام عالية في سماء بلادنا، فالإسلام هو الذي وحد قبائلنا بعد شتات وجعلها قوة لا تقهر تدفعنا إلى ميادين المجد والشرف، وجعلنا إخوة يحب أحدنا لأخيه ما يحب لنفسه، ولا فرق بين عربي وأعجمي ولا ابيض ولا أسود إلا بالتقوى، وأمرنا بالعدل والمساواة.

وإذا عدنا إلى التاريخ نجد كل من دخل هده البلاد غازيا من رومان وفاندال وأسبان هزمتهم قوة باس وشجاعة الأجداد، وكان هدف غزوتهم لبلادنا إخضاع شعوبنا وإذلالها ونهب خيرات بلادنا لزيادة رفاهية شعوبهم والدين خالف النصر إعلامهم من الفاتحين، حملوا إلى هده البلاد حضارة الهيبة وشيدوا صروحا من القيم باقية إلى الأبد، لا ينصب معينها، ودخلوا هده البلاد لتكون دعوة الإسلام حرة فيما قال الله تعالى ﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾(سورة الأنبياء: الآية107) وشيدوا مدنا راقية لا تزال آثارها تشهد عليها في مدننا في فاس وقرطبة، غرناطة واشبيلية في وهران وقسنطينة، إخوتي في الإسلام ...أيها السادة زعماء القبائل والعلماء...أيها المجاهدون من أبناء هذا الوطن العظيم سنكون أقوياء، سندافع عن الراية والرسالة التي علمها لنا طارق بن زياد وموسى بن نصير، وسيضل ارتباطنا وثيقا بدولة الخلافة العثمانية ارتباطا روحيا بنظامها الإسلامي، نكون جاحدين لأعمال الأخيار من الولاة في خدمة الإسلام، ومحاربتهم لقوى الشر في بلادنا، ولن تخرج دولتنا في طاعة الخليفة، ولن نكون عون لأعدائنا عليها، كما كان والدي: هذا المنصب الذي اخترتموني له

لن يكون متوارثا، وارفض لقب السلطان أو الملك " ....( سورة التوبة : الآية 192) والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.[1]

ومن الخطب البليغة كذلك في عهد الأمير خطبة عمه أبي طالب سنة 1837 وكان مدار الخطبة إقناع المعارضين لمعاهدة التافنة بقبولها لأنها تخدم في نظره مصالح الدين والوطن"[2].

من خلال ما سبق نستثني من الضعف والانحطاط الذي عرفته الخطابة أثناء الفترة الاستعمارية خطب الأمير عبد القادر وزعماء المقاومة، فعلى يدهم تم تصليح الخطابة ، فقد أضحت تعبر عن قضية وطنية أو عن عقيدة روحية في أسلوب حماسي بعد أن كانت "مع العثمانيين منحصرة في ميدان واحد تقريبا وهو الجامع...فلا نجد باشا من البشوات نهض يخطب في الناس لا خطبة جمعة ولا خطبة استشارة للجهاد ونحوه"[3].

أما بعد الأمير فقد تدهورت الخطابة وضعفت لأسباب تتصل بالحياة الثقافية والفكرية والسياسية، فقد هيمن الاستعمار الفرنسي على الواقع الأدبي والثقافي، ومن ثم كان تأثيره قويا على أداء الخطابة أي على اللغة العربية بالتحديد.

ومن الخطب التي كان للاستعمار الفرنسي تأثيرا عليها هي الخطب الدينية، فقد كانت "الإدارة هي التي تعد الخطب وتصوغها وتقدمها للخطيب فلا يخرج عنها إلا للأدعية والأذكار إذا شاء وموضوعات الخطب سلبية جامدة، فلا تتحدث إلا عن العينات وأحوال الآخرة والأموات وعذاب القبر"[4]، وقد بلغت وقاحة السلطات الاستعمارية أن فرضت على الخطيب في يوم الجمعة أن ينوه بأعياد فرنسا والدعاء لحكامها.

---

[1]– بديعة الحسني الجزائري: الأمير عبد القادر حياته وفكره، وزارة الثقافة، الجزائر، 1998م، ص56 .

[2] – أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي: ج8، ص 105.

[3] – المرجع نفسه، ج2، ص 202.

[4] – المرجع نفسه ،ج8 ،ص110

كما كان هؤلاء "الخطباء في المساجد الرسمية لا يكادون يهجون حروف الخطبة المكتوبة فقد كانت الخطبة الدينية بعيدة بعدا شاسعا عن البيان والبلاغة ولا نجد مجالا للبحث عن الخطابة الأدبية التي نحن بصددها "[1].

[1] – أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي: ج8، ص111.

# المحور الثالث

# أعلام فن الخطابة

**- أعلام فن الخطابة:**

- أعلام **جمعية العلماء المسلمين وفن الخطابة:**

**1- مكانة الخطابة عند جمعية العلماء المسلمين:**

لقد أعطت جمعية العلماء المسلمين أهمية كبيرة لما لها من دور مهم في الوعظ والإرشاد والإصلاح، وقد جعلت منها أكثر رسمية وتنظيما من حيث اختيار المواضيع، التي تتناول معينة في التعليم والسياسة وأصول الدين.

2- **خطباء جمعية العلماء المسلمين:**

بعد أن عرفت الخطابة ضعفا كبيرا خلال الفترة الأولى من الاحتلال تأتي المرحلة التي تزدهر فيها وذلك مع جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وقد برز جمع كبير من أعضائها في مجال فن الخطابة من أبرزهم الشيخ عبد الحميد بن باديس والبشير الإبراهيمي والطيب العقبي وأحمد توفيق المدني، وقد عمل هؤلاء على النهوض بفن الخطابة حتى أن أعمالهم وآثارهم بقيت حية إلى يومنا هذا .

**أ – <u>عبد الحميد بن باديس</u>:**

في اليوم الرابع من شهر ديسمبر عام 1889 م، ولد عبد الحميد بن باديس بقسنطينة من أبوين كريمين محمد المصطفى بن المكي بن باديس وزهيرة بنت علي بن جلول، وإذا كانت عائلة محمد المصطفى تنحدر من عائلة ابن باديس الشهيرة، فإن أسرة ابن جلول تنتسب لأسرة عبد الجليل المعروفة .

لعائلة ابن باديس مكان مرموق في تاريخ الجزائر والمغرب العربي.. عائلة ذات ملك وسلطان، وجاه ومال، وعلم وفقه تولى أجداده الصنهاجيون الحكم من عهد زيري بن مناد الصنهاجي وابنه بلكين[1]، حظيت العائلة باحترام خاص على مر العصور، وفي العهود الأخيرة تقاسمت الوظائف الدينية التي كانت تحظى باحترام وإجلال مع أسرة ابن الفكون

1- الزبير بن رحال: الإمام عبد الحميد بن باديس رائد النهضة العلمية والفكرية، (1889م- 1940م)، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 1997م، ص 3.

العلمية، ففي العهد التركي أسندت إلى هذه العائلة الإفتاء ومشيخة الإسلام وإمارة الركب الحجازي، وإلى عائلة ابن باديس الإمامة والخطابة والقضاء[1].

وفي العهد الاستعماري، أيضا، حافظت عائلة ابن باديس على احترام السكان والإدارة لها، فقد تقلد بعض أجداد عبد الحميد وأعمامه مناصب محترمة.

وبما أن الأسرة الباديسية من الأسر العلمية المثقفة ثقافة تقليدية، فقد ألحق محمد المصطفى ولده عبد الحميد بأشهر كتاب في قسنطينة، لدى معلم قرآن عرف بصلاحه وورعه وتقواه، ونجاح تعليمه وهو الشيخ محمد المداسي من المشهورين في قسنطينة بمهارته في تحفيظ القرآن، وبحبه لتلاميذه، وحبهم له، لم يكن يستعمل العصا وسيلة لتأديب الأطفال إلا نادرا، كان يولي عبد الحميد عناية خاصة معجبا به يتباهى به في المناسبات، لما لاحظ في الطفل من ذكاء ونبوغ، وأخلاق حميدة وحفظ جيد للقرآن. ولهذا قدمه بالجامع الكبير ليصلي بالناس صلاة التراويح مدة ثلاث سنوات بدون انقطاع .

.بعد أن انتهى من حفظ القرآن الكريم تطلعت نفسه للمزيد من المعرفة برغبة عارمة، والرغبة دافع قوي في تعليم الطفل تعليما مثمرا كما قال برتراند راسل :يجب أن تكون القوة الدافعة في التربية هي الرغبة الذاتية الموجودة عند كل طفل طبيعي، كما تدل جهوده في سبيل المشي والكلام، وإحلال هذه القوة الدافعة محل العصا من أعظم خطوات التقدم التي خطاها عصرنا سمع الشاب بشهرة الشيخ عبد القادر المجاوي، وبآثاره في قسنطينة، وبخريجيه من العلماء، وكان الشيخ حمدان الونيسي أبرزهم علما وأخلاقا ونزاهة. تبدو عليه سمات العلماء الجذابة.. اختار الشيخ حمدان مسجد سيدي الكتاني للتدريس، وهو المسجد الرائع الذي بناه صالح باي. والمسجد ليس بعيدا عن سكن ابن باديس، فضلا عن العلاقة الطيبة بين الشيخ حمدان والوالد محمد المصطفى، ثابر عبد الحميد على حلقات الشيخ حمدان مثابرة من يرغب في الاستفادة من هذا الرجل العظيم المحترم لعمله وصلاحه وشجاعته. ورث من الشيخ المجاوي الكثير من خصاله ومعارفه. أفاد الشيخ حمدان عبد الحميد فائدتين كان لهما أثر في توجيهه: أولاهما: أن الشيخ شجع الرغبة في تلميذه على مواصلة الدراسة، والثانية أنه زوده بمعلومات مكنته من اختصار المدة المفروضة على كل طالب يتقدم الجامع الزيتونة

2- محمد المهدي بن علي شعيب: أم الحواضر في الماضي والحاضر .ص 134.

ومن أجل الوصايا أو النصائح التي زوده بها: أن لا يقرب الوظيف الرسمي إذا أراد أن يكون حرا له شأن في مستقبل حياته. وهو ما عمل به ونفذه في حياته، وكان يوصي به تلاميذه من بعد، ثم اتم الشاب دراسته في الزيتونة بتفوق ولعل شعوره أثناء الدراسة بإنقاذ بلاده لازمه طوال حياته وهو الذي ألهمه بأن يخاطب الطلبة الجزائريين الزيتونيين لما زار تونس عام 1936 بقوله: "أنتم يا أبنائي الجزائريين مهاجرون هاجرتم وطنكم، لا لتستريحوا منه، فتكونوا هاجرتم بأنفسكم لأنفسكم، بل لتتعبوا أنفسكم، ثم تعودوا إليه فتنقذوه[1].

وبعد أن أتم دراسته عاد إلى قسنطينة، فاستقبلته العائلة بالترحاب والزغاريد كعالم تجمعت في شخصه أمجاد الماضي، وتطلعات المستقبل، وكانت فرحة والدته بالغة، لم يستطع الحضور وصف غبطتها بعودة ابنها عالما جليلا، وأملها في أن يحتل قريبا منصبا عاليا في القضاء أو الإفتاء، وقد بقيت زغرودة والدته ترن في أذنه مدى الحياة، ويتحدث عنها بتأثر، وبإعطاء الزغرودة أبعادها بأن الشعب الجزائري يحب العلم، ويحترم رجاله احتراما فائقا[2].

لكن الشيخ عاد، لا ليستريح من الغربة، ومتاعب الدراسة، وإنما ليدشن مرحلة جديدة من مسيرته لخدمة وطنه و السير به نحو الحرية .

**ب- الخطابة عند عبد الحميد بن باديس :**

كانت ولا تزال الخطابة سلاح المجتمع الإنساني في سلمه وحربه، لذلك ليس بدعا أن وجدناها الوسيلة الفاعلة والمؤثرة التي يلجأ إليها المصلحون والسياسيون لبلوغ مقاصدهم، ثم هي إلى اليوم تعد ضرورة حيوية للدول والشعوب والمجامع الدولية لا يستغني عنها حاكم ولا زعيم ولا قائد ولا مصلح ولا نائب ولا معلم ولا كاتب ولا ممثل حتى الدكتاتوريات التي تعيش على خنق الحريات اتخذتها الوسيلة للتسلط على الأذهان، وترويح ما تدعو إليه من حق أو بهتان[3].

---

[1] – الثمرة الأولى لجمعية الطلبة الجزائريين الزيتونيين عام 1936م.

[2] – عبد القادر فضيل ومحمد الصالح رمضان، إمام الجزائر عبد الحميد بن باديس ، ص29

[3] – طاهر درويش: الخطابة في صدر الإسلام، دار المعارف، مصر، ط2، 1968م، ج1، ص7.

ولعل أبرز من مثل هذا الفن في الجزائر في العصر الحديث نجد المصلح والعالم الكبير عبد الحميد بن باديس، والذي يأتي في مقدمة خطباء الإصلاح في الجزائر واشتهر بالفصاحة والبيان والقدرة على توعية الجماهير ودفعهم إلى مقاومة الاحتلال.

اشتهر ابن باديس بخطبه النافذة والمؤثرة وكان مخلصا في كلامه، صادقا في تعابيره حاضر البديهة، كثير الاستشهاد بالشواهد، ومع ذلك كان محافظا على توازن القول فلا يميل إلى الهجوم ولا يغالي في التقريع، فكان اعتداله من خصائص شخصيته ومن أسرار نجاحه وتأثيره[1].

كان ابن باديس شخصية كاريزمية قيادية محنكة فطنا عارفا بدسائس فرنسا ومكائدها حافظا لدروس شيوخه، وسار على درب الإمام عبده ، بعد خوض السياسة حتى أنه اعتذر من قبول دعوة الأمير خالد عندما قال: "أنا لست سياسيا، أنا رجل دين، أني انشر الدين الإسلامي"[2].

وعلى هذا الأساس كانت الخطابة الدينية خاصة ابرز إنتاج لدى الإمام ابن باديس في الفنون القديمة، والمقالة أبرز إنتاجه في الفنون الحديثة، فكان يخطب في العامة، وفي الخاصة أثناء رحلاته وتنقلاته التي كان يقوم بها في مختلف أرجاء البلاد على مدار السنة، فكان يلتقي أثناءها بالأهالي، فيطلع على أحوالهم عن كثب، ويقوم بتوعيتهم بواقعهم ويحثهم على النهوض، وكان يخطب في الخاصة في لقاءات جمعية التربية والتعليم وفي مؤتمرات جمعية العلماء واجتماعاتها الدورية والسنوية[3].

ولعل أبرز سمة ميزت خطب ابن باديس قصرها حتى تتماشى والخطب النبوية، أما خطبه التي ارتجلها في الملتقيات السنوية لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، فاتسمت بالطول كما أثر عن خطبه معالجة الفكرة بروية وهدوء بعيدا عن الانفعالات العاطفية

---

[1] – أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج8، ص ص 108، 109.

[2] – عبد الرحمن بن إبراهيم العقون: الكفاح القومي السياسي من خلال مذكرات معاصرة 1929– 1936، المؤسسة الوطنية للكتاب، ج1، ص 35.

[3] – محمد بن سمينة: الفنون النثرية عند عبد الحميد بن باديس، ص27.

والحماسة المبالغة وكانت خطبه كلية تعالج مواضيع السياسة والاجتماع والدين في بنيان واحد.

ومن الخطب البارزة لابن باديس والتي تعكس أسلوبه وفكره ومنهجه الجدالي، تلك التي ألقاها سنة 1937 بقاعة الماجيستك بمناسبة الاجتماع العام للجمعية ونرى فيها أول ما نرى ترديد الإمام للفعل حورب المبني للمجهول، وهي لفتة ذكية من شيخ الإصلاح تعبر عن فكره التسامح مع الخصومة، لأنه لا يقصد شخصا بعينه أو جماعة محددة، وهو ما يعطي أيضا لخطبته طابعا شموليا لا ينقضي في أوانه، فكان من أهم ما ألقاه:

"حورب فيكم الإسلام حتى ظن أن قد طمست أمامكم معالمه، وانتزعت منكم عقائده و مكارمه فجئتم بعد قرن ترفعون على التوحيد، وتحملون من الإصلاح لواء التجديد، وتدعون إلى الإسلام كما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم وكما يرضى الله لا كما حرفه الجاهلون وشوهه الدجالون ورضيه الأعداء"[1].

ويتوسم في خطبه ابن باديس الدقة في التعبير، وحسن اختيار الكلمات، فهو شيخ الخطبة الإصلاحية الفضفاضة، يتقن الجمال في التصور، والطرح العام فيتهم أعداء الإسلام الذين يعرفهم الجميع دون أن يسميهم، ولكن في آن واحد تقوم تعابيره كإشارات دالة موحية أيقونة الصدى، فعبارة حرفه" الجاهلون وشوهه الدجالون" هي تهمة موجهة إلى الطرقية الحديثة التي أخلدت إلى الأرض وهم دون غيرهم أصلح إلى هذا الوصف .

إن رمزية الكلام الخطابي الباديسي على وضوح ألفاظه وسهولة صوغه يطفح بالحقائق النيرة، فتتقاذف كمشاعر تنير درب الهائمين وتشد من أزر الواثقين.

فالخطابة عند ابن باديس كانت تسير وفق مبدأ الإصلاح والنهضة محاولا بذلك بث معالم ومقومات الهوية العربية ونشر مبادئ وتعاليم الدين الإسلامي.

ج- **محمد البشير الإبراهيمي :**

ولد محمد البشير الإبراهيمي في 13 من شهر شوال سنة 1306 الموافق لـ 14جوان 1889م، وتعرف قبيلته بأولاد إبراهيم وترفع نسبها إلى إدريس بن عبد الله، الذي خلص إلى المغرب بين العلويين والعباسيين وإليه ترجع انساب الأشراف الحسنيين في المغربين الأقصى

[1] – كمال لعور: الصراع الفكري في النثر الجزائري، ص ص155،156.

والأدنى . نشأ في بيت والده كما ينشأ أبناء بيوت العلم، فبدأ في التعلم وحفظ القرآن الكريم، ومتون العلم الكبيرة، وهو ابن تسع سنين، تلقى علوم الدين والعربية في بيت أسرته على عمه القائم بتربيته الشيخ محمد المكي الإبراهيمي، وكان علامة زمانه في العلوم العربية .

بعد موت عمه خلفه في إلقاء الدروس على تلامذته إلى أن جاوز العشرين سنة، ثم رحل إلى المدينة المنورة رفقة والده مهاجرين فراراً من الاستعمار الفرنسي فكان من مدرسي الحرم النبوي الشريف بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية رجع إلى بلده الجزائر، وبقى ينشر العلم في فترات متقطعة إلى سنة 1931م[1]، وكان أحد إثنين يرجع لهما الفضل في تكوين جمعية العلماء هو والشيخ عبد الحميد بن باديس، وكان في طليعة العاملين على إحياء العلوم الدينية، والعربية بالجزائر من الابتدائية والعالمية، وكان أبرز المشيدين لأربعمائة مدرسة في مدن القطر الجزائري وقراه، وفي طليعة المجاهدين في سبيل الإصلاح الديني، وحرب التدجيل، والابتداع في الدين، وتصحيح الموازين الفكرية والعقلية في نفوس أفراد الشعب الجزائر، بعد ظهور جمعية العلماء انغمس في أعمالها، وتشكيلاتها ، وانقطع إلى العلم وتأسيس مدارسه ، ووضع برامجه.

توفي رحمه الله تعالي في 19 محرم –1375 الموافق لـ 20 ماي 1965م بعد أن عاش ستة وسبعين سنة قضاها في جهاد متواصل في سبيل الإسلام والعروبة، والوطن.

**د- <u>الخطابة عند محمد البشير الإبراهيمي :</u>**

الخطابة عند الشيخ البشير الإبراهيمي تعدّ واحدة من أبرز أدواته للتعبير عن قضايا الأمة ونقل رسائل الإصلاح والتوعية، كانت خطبه تجسد قوة اللغة العربية وجمالها، كما أنها اعتمدت على أسلوب بليغ ومؤثر يجمع بين قوة الحجة وتأثير الكلمة، استخدم الإبراهيمي في خطبه أسلوبًا يجمع بين التشويق والإقناع، مما كان له أثر كبير في تحفيز مستمعيه على التفكير والعمل لصالح قضاياهم، ولم يكن هدفه من الخطابة مجرد التأثير، بل كان يسعى

إلى إيقاظ الوعي القومي وبث روح الإصلاح والمقاومة ضد الاستعمار من خلال الكلمة الصادقة والمخلصة.

**- أنواع الخطابة عند البشير الإبراهيمي**

تعد الخطابة من أكثر الفنون الأدبية التصاقا بالواقع المعيش؛ فهي تتناول جميع نواحي الحياة العلمية والأدبية والفنية والفلسفية والاجتماعية والسياسية والدينية والقضائية[1].

واختلاف هذه النواحي وتعدّدها أدى إلى تعدد أنواعها، فجاءت الخطب الدينية كالتي ألقاها في حفلة تكريم للشيخ عبد الحميد بن باديس رحمه الله بمناسبة اختتامه لتفسير القرآن الكريم وتتميز هذه الخطبة بظاهرة التعميم في المعاني والشمولية للأحداث والخطب السياسية كالتي ألقاها ارتجالا أمام الوفود العربية والإسلامية في الأمم المتحدة بمدينة باريس سنة 1952م، ويدور موضوعها حول التنديد بأعمال فرنسا وخطورة الموقف والتحذير من عواقب الاستعمار والخطب الأدبية مثل التي تتمثل في كلمة ألقاها في مجمع اللغة العربية في القاهرة باسم الأعضاء الجدد ويتمثل موضوعها حول تمجيد اللغة العربية والحث على التمسك بها كما أعلنت الخطب السابق ذكرها في محتواها الإجمالي عن الرغبة في التغيير نحو الأفضل ويتجلى المقصد نفسه في اهتمام الإبراهيمي باستجلاب العبر والعضات من مباحث التاريخ وسير أمجاده مع الحث على ضرورة إحيائها، ويتوقف نجاح الجهود على تطهير النفوس من الأمراض الاجتماعية والنفسية[1].

وتبرز قيمة الخطابة عند الإبراهيمي في محاربته لكل البدع وتزكية النفوس وإنارة دروبها، حيث كان يخطب هو شخصيًا في كل مناسبة صغير أو كبيرة، عامة أو خاصة، ثم كان يدفع أصحابه إلى الخطابة وتوجيه الشباب في هذا المجال للتدرب على امتلاك ناصية

[1] – محمد بن قاسم بوحجام، من أساليب السخرية في أدب الإبراهيمي، مجلة الوعي، دار الوعي للنشر والتوزيع، العدد 2، 2010م، ص 72.

القول فيها ملحا على العلم في خطابه لأبناء أمته: ]إنكم لا تكونوا في العمل إلا إذا كنتم أقوياء في العلم، ولا تكونوا أقوياء في العلم إلا إذا انقطعتم له، ووقفتم عليه الوقت كله[1].

إنها نظرة واعية لمكانة العلم في حياة الفرد لأنه الأساس الذي يسير في جميع المجالات نحو الأمام، ولذلك فالإبراهيمي يربط قوة العمل بقوة العلم، ويركز على ضرورة التفرغ له تفرغًا تاما .

ويسعى الإبراهيمي إلى توعية الفكر في مختلف ميادين الحياة، ولذلك تنوعت خطبه بتنوع هذه الميادين فجاءت خطب السياسية لإصلاح المجال السياسي الذي يعد من ركائز صلاح الوطن، أما الخطب الدينية فتهدف إلى تصحيح العقيدة وغرس الإيمان الصحيح في النفوس من أجل بعث فرد صالح بتفكير سليم، وتهدف الخطب التربوية العلمية لإنارة الفكر وتوسيع الثقافة، وله خطب أخرى كثيرة في مناسبات مختلفة في فتح مدارس جديدة لجمعية العلماء في شتى أنحاء الوطن، أو حين تبنى المساجد التي كان الشعب يؤسسها بماله الخاص، وكذلك له خطب كثيرة في رحلاته وجولاته داخل الوطن وخارجه شرقا وغربا مثل خطبته التي ألقاها في نادي القلم ببغداد عام 1953م ويومها قالت عنه صحف العراق أنه يشبه قس بن ساعدة [1]، وغيرها من الخطب التي أبدع فيها الإبراهيمي أيما إبداع فسجلها للزمن ووقع الدهر خلودها

وهكذا أثبت الإبراهيمي زعامته لهذا الفن، ووقع اسمه ضمن قائمة أكبر الخطباء في العالم العربي، وأكثرهم ارتجالاً في لقاء القول على الناس، فقد كان يسحرهم ببيانه، ويأخذهم بعذوبة لسانه، ويملك عليهم نفوسهم وقلوبهم وعقولهم بما كان يصدر عنه من زخرف القول البليغ الذي يأسر النفوس ويستميلها للخضوع تحت أهدافه المسطرة.

[1] – عبد الملك مرتاض: فنون النثر الأدبي في الجزائر ،195401931م ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، (د، ط)، 1983م، ص 284

# المحور الرابع
# جماليات فن الخطابة

**جماليات فن الخطابة :**

إن الخطابة هي الوسيلة الكلامية المؤثرة التي يلجأ إليها المصلحون لتبليغ رسالاتهم، وبلوغ مقاصدهم، وهي الأداة الفعالة التي لا يستغني عنها حاكم ولا زعيم ولا قائد، ولا مصلح ولا نائب ولا معلم ولا كاتب ولا ممثل[1]، لأنها ترمي إلى غاية إنسانية هي إصلاح ما فسد من أحوال الناس، ويعد البشير الإبراهيمي من أبرز رواد الإصلاح في الجزائر فقد أبدع في هذا الفن إلى حد البراعة بفضل ما يتصف به من صفات في الخطيب البارع، فقد كان شديد العارضة، فصيح اللسان، ساعده في ذلك محصول من اللغة وإلمام بالأمثال وبراعة في حسن إجرائها في مضاربها، ومعرفة عميقة بطرائق الكلام، وقدرة على التصرف فيه[2] حسب ما يقضيه الحال، مرتجلاً في كثير من الأحيان هذه الخطب ارتجالاً؛ مما جعل الأكثرية الغالبة منها تضيع فيحرم فن الخطابة العربي من إنتاج جميل وفير[3]، لتبقى حسرة في نفوس هواته، ويبقى المصدر الوحيد هو أقوال اللذين استمعوا إليه وهو يخطب، لذلك فالحكم على خطبه يبقى رهين ما جاءت به ذاكرة المستمعين لتلك الخطب التي أبهرت الحضور، فقد ألقى ذات يوم خطبة مرتجلة في الخمسينات تحت عنوان الله والذرة ولم يكن الحديث عن الذرة مألوفًا على الأسماع في تلك الفترة، وكان بين الذين حضروا الخطبة لفيف من العلماء، وقد استمرت الخطبة أكثر من ساعتين، والشيخ ما يزال واقفا يتناوب الراحة بين رجليه وعصاه والناس من حوله منجذبون إليه، وكأنهم ينظرون إلى ألعاب ،ساحر، وما انتهى الشيخ من خطبته حتى قام من وسط الحاضرين الأستاذ علم الدين عز الدين التنوخي وكان من العلماء المتفتحين يكره شيوخ العمائم كما يكره الكتب الصفراء، وطلب من الإبراهيمي أن

[1] – طاهر درويش: الخطابة في صدر الإسلام، ج1، دار المعارف، مصر، ط2، 1968م، ص 07 .

[2] – عبد الملك مرتاض : فنون النثر الأدبي في الجزائر، ص4.

[3] – عبد الملك بومنجل: النثر الفني عند البشير الإبراهيمي بيت الحكمة للنشر والتوزيع، ط1، 2009م، ص 46 .

يسمح له بتقبيل عمامته تقديرًا لشخصه، واعترافا بعلمه وسمو ا مقامه[1]، وعلو مقصده الذي كان سببا في توجيهه الفكري، وتوحيد المقصد، وتربية الذوق الأدبي والفني الذي تألق على مدى الزمان، فصار فنا رائقًا وإبداعا شائق[2]، يخدم الإنسانية جمعاء عبر سائر العصور.

وقد ملك الإبراهيمي ناصية القول واستوعب البيان العربي وتبحر في العربية وآدابها وامتاز بالقدرة على توليد الكلام، وامتاز بالموهبة الأدبية وعرف الارتجال[3] ، الذي هو أول سمة تمتاز بها الخطبة، كما أن المتمعن في تلك الخطب يلحظ من حيث المضمون، والمنهجية السليمة، والارتباط بالواقع، والبعد عن المجاز، والخيال، والاستناد إلى الشواهد المنطقية والبراهين العقلية والاستنارة بكتاب الله عز وجل والسيرة النبوية الشريفة دون التفريط في التراث العربي والإسلامي، فإذا به يبدع بنسق مميز أكسبه القدرة على رؤية الأشياء، والأحوال بما يلائم الأزمنة ماضيًا وحاضرا ومستقبلاً ، وبهذه الميزة الزمنية كتب لخطبه الخلود، فلا الزمن ومعطياته يكتسبان القدرة على محو أفكاره الخالدة ومعتقداته الراسخة، وهو في كل ذلك لا يستعرض قدراته على القول، وإبراز فصاحته في اللغة، واستيعابه للبيان العربي وتبحره في اللغة العربية، وامتيازه بالقدرة على توليد الكلام إلى درجة الارتجال ، وخلق المتعة في النفوس، بأسلوب ممتع بجميع بين الإيقاع والإيحاء بلغة قوية مثيرة للعاطفة، وهي سمة تمتاز بها خطب الإبراهيمي؛ لأن التأثير في المستمع هو هدفه الأول والأخير، فهو يستميلها بحمد الله والصلاة على رسوله الكريم وبالثناء على الصحابة والتابعين، وكل ذلك في جمل قصيرة مسجوعة يوقع موسيقى يشد بها المستمعين ويجلب انتباههم ويدعم ذلك بعبارات تتخلل كلامه مثل أيها الإخوة الكرام، وأيها الناس وهو أسلوب يتبعه لجلب الاهتمام وكسر الشرود الذهني أما فيما يخص نهايات خطبه فهو يشحنها بطاقة لغوية مكثفة تبعث

[1] – مهداوي: البشير الإبراهيمي نضاله وأدبه، دار الفكر ، دمشق، سوريا، ط1، 1988م، ص 51.

[2] – مبروك زيد الخير :الإمام الإبراهيمي في شعر محمد آل خليفة، مجلة الوعي، دار الوعي للنشر والتوزيع، الجزائر، العدد 2، 2010م، ص 58.

[3] – عبد الله الركيبي: تطور النثر الجزائري الحديث، ص 27

في النفوس رغبة قوية في الانسياق نحو ما سطره الإبراهيمي من أهداف، فينتهي المستمع إلى أفكار حديثة بأنفاس جديدة، تبحث على الرغبة في الحياة برؤية أفضل يصاحبها الأمل والتفاؤل، ولذلك كان حريصا على انتقاء الكلمات انتقاءً ذكيًا، وما ذلك إلا دليل على معرفة بالغة بأن النفوس والأذهان لا تصفوا إلا أذا صفت الكلمات من الشوائب[1]، فتستوي في الذهن كأنها لآلئ من الأحجار الكريمة، وتتناسق لتشكل عقدًا فريدًا يزيده كتاب الله لمعانا وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام إشراقاً، كما تزيده نفحات من التراث العربي والإسلامي قوة وبهاء، ويسمو الإبراهيمي بخطبه سموا يجعلك تشعر بالروعة تلامس السمع والأبصار، . فتسري في النفس هيئة لينة لتبث فيها روعة انتقاء المفردات واستواء التراكيب والجمل فتخرج من معانيها المعجمية إلى دلالتها الإيحائية، لذلك تمكنه من الأدب العربي بارزا في أسلوب الأداء، وطريقة الإلقاء، إن كنا نعجب للغته فالعجب الأكبر في أفكاره التي بثها عبر لغته، فكان بحق من أعظم الخطباء واستحق بحق أن لا ينحني له العقاد إجلالاً وتقديرا، وأن ينتزع من أقرانه وأترابه لقب جاحظ عصره[2]

ومن أهم الخصائص التي تميزت بها خطب البشير الإبراهيمي وخطب جمعية العلماء المسلمين:

- الارتجالية: إن الارتجال سمة غالبة في خطب جمعية العلماء المسلمين، فالارتجالية تعد سمة من سمات الخطيب المقتدر الذي يعتمد على ملكاته اللغوية الخاصة وقدراه العلمية ومما هو معروف أنه كلما كانت الكلمات مرتجلة كان وقعها في السامع أكثر قوة وأبلغ أثرا، لأن الأصل فيها الارتجال ومجالها السمع والقراءة.
- الحماس: تميزت خطب جمعية العلماء المسلمين بظاهرة الحماس وتتأرجح هذه الظاهرة عندهم بين اللين تارة والشدة طورا آخر بحسب المواقف

[1] – عبد الحفيظ بورديم: روعة البيان في كتابات الإمام الإبراهيمي، مجلة الوعي، دار الوعي للنشر والتوزيع، الجزائر، العدد ، 2010م، ص 76

[2] – المرجع نفسه ،75.

- الخروج عن المألوف
- الاقتباس من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف: تتمثل ظاهرة الاقتباس في استشهادهم بالقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف والشعر العربي وهي خاصية من خصائص الخطابة الهدف منها الاعتبار والذكرى وإقامة الحجة والبرهان على الغاية المقصودة
- الاعتناء باللفظ وحسن العبارة يعتمد أسلوب الخطابة على حسن اختيار الألفاظ والاعتناء بها لتكون زينة لمعانيه فتخرج المعاني في ثوب من الروعة والجمال كما أنهم يميلون إلى اقتناء الألفاظ السهلة والمألوفة وتجنب حوشي اللفظ وغريبه بمراعاة مقتضى الحال، ذلك أن جمهور السامعين تتنوع مستوياتهم الثقافية.

# المحور الخامس

# موضوعات فن الخطابة

– **موضوعات فن الخطابة:** يمكن تقسيم موضوعات فن الخطابة في الجزائر إلى عدة محاور رئيسية بحسب السياق التاريخي والثقافي:

**1– أبرز الموضوعات خلال فترة التواجد الاستعماري في الجزائر:**

إن تأثير الاستعمار الفرنسي على الخطابة كان تأثيرا قويا أي بعبارة أخرى كان تأثيره قويا على اللغة العربية التي ضعفت بل كادت تختفي من الساحة الثقافية والأدبية وما يجسد لنا هذا خير تجسيد نوع آخر من الخطب وهي الخطب السياسية.

– انطلقت **الخطب السياسية** في الجزائر مع الأحزاب والتجمعات والمؤتمرات والانتخابات ، وقد أصبح لكل حزب وجمعية خطباؤها، وقد استعملت لذلك اللغة العربية والفرنسية واللهجات المحلية ،إلا أن اللغة الفرنسية هي الطاغية في الكتابة على اعتبار أن أغلب أصحابها كانوا ضعافا في اللغة العربية ، يؤكد أبو القاسم سعد الله على أنه لم يعثر على خطب باللغة العربية لكل من حزب البيان وحركة النواب ، فقد كانت خطب زعماء الهيئتين باللغة الفرنسية ، ويمكن أن نضرب مثالا على ذلك بمصالي الحاج، فبالرغم من إجادته للعربية الدارجة إلا أنه يفضل الخطابة باللغة الفرنسية ومن الخطباء السياسيين باللغة الفرنسية الدكتور محمد الصالح بن جلول و فرحات عباس والحكيم سعدان"[1].

من خلال هذا يتجلى لنا أن الخطبة لم تتوقف عند الخطبة باللغة العربية الضعيفة الأسلوب وإنما أصبحت تكتب وتلقى بلغة العدّو.

والنوع الآخر من الخطب الذي كان للاستعمار الفرنسي أثر فيها هي الخطب التعليمية والخطب التأبينية.

– نبدأ بالنوع الأول( الخطب التعليمية):"المقصود بها الخطب التي تكون في الحفلات بافتتاح المدارس أو بتوزيع الجوائز على التلاميذ وذلك أثناء الاحتفالات التي يحضرها المديرون وبعض الوزراء"[2].

[1] – أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي،ج8، ص117

[2] – المرجع نفسه، ص113

إن تأثير الاستعمار الفرنسي يبدو جليا من خلال الموضوعات المتناولة فقد أصبحت أغلب خطب الجزائريين تقال في الفرنسيين إمّا مدحا أو تمجيدا للفرنسيين ومنجزاتهم، وفي هذا يقول أبو القاسم سعد الله :"و قد كان بعض الجزائريين يتكلمون فيها ترغيبا في العلم وإشادة بجهود فرنسا ومن نماذج ذلك ما خطب به حسن بن بريهمات عندما كان متوليا إدارة المدرسة السلطانية – الرسمية– بالعاصمة وفي عدة مناسبات أخرى"[1].

و يمكن أن ندلل على ذلك بنموذج وذلك ما خطب به الحاج أحمد المبارك الذي كان أحد المدرسين بالمدرسة السلطانية.

نحاول أن نذكر مقطعا من الخطبة فيما يلي:

"الحمد لله الذي شرف من هذه بالعلم لحسن العمل وزينه بالآداب المنيلة لغايات الأمل... مولانا وولي نعمتنا السلطان الأعظم والملك الأفخم ... أن من عظيم النعم الإلهيّة على هذه الأمة الإسلامية أن تكلفتها ولاية هذا السلطان الكريم الحليم... "[2].

أما النوع الثاني من الخطب هي الخطب التأبينية :" ونعني بها الكلمات التي تلقى تنويها بجهود بعض الأعيان المتوفين وكانت هذه الكلمات بالعربية الفصحى وأحيانا كانت ارتجالية وأحيانا مكتوبة وكان بعضها يلقى عند الوفاة وبعضها بعد حين"[3] .

كانت أغلب هذه الخطب تقال في المستشرقين والفرنسيين والجزائريين الذين قدموا خدمات لفرنسا، ويذكر لنا في هذا الصدد أبو القاسم سعد الله نماذج نذكر منها :

– تأبين المستشرق الفرنسي موتيلانسكي – مدير قسنطينة الرسمية .

حيث أقام له الفرنسيون حفلة تأبين ودعو إليها بعض العلماء الجزائريين ، وقد عمل هؤلاء على إلقاء خطب في هذا المستشرق.

---

[1] – أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي،ج8، ص113.

[2] – المرجع نفسه : ص ص113،114 .

[3] – المرجع نفسه : ص ص114،115

تأبين الفنان الفرنسي الشهير ناصر الدين ديني، فقد أقيمت له حفلة تأبين في بوسعادة وكان ذلك آخر يناير 1931 وقد حضر الحفلة وخطب فيها الشيوخ أمثال توفيق المدني والعقبي....

– تأبين محمد بن أبي شنب الذي توفي عام 1929 في حفلة أقامها أدباء وعلماء العاصمة وحضرها الإبراهيمي والمدني والعاصمي والهادي السنوسي .... و قد جمعت هذه الكلمات في كتاب ( ذكرى الدكتور ابن شنب)[1].

**خصائصها:**

– بينت لنا هذه الخطب العلاقة بين رجال الدين عموما و بين السلطات الاستعمارية.

– أغلب الخطب لغتها إدارية جافة تفتقر إلى رونق الكتابة الأدبية.

– بينت لنا بعض هذه الخطب مدى خضوع رجال الدين للنظام الاستعماري و مدى تذلل العلماء أمام السلطة الفرنسية.

– سيطرت السلطات الاستعمارية على العديد من الخطب خاصة الدينية فقد أصبحت الخطبة تكتب تحت جناح السلطات الاستعمارية إذ تعمل على كتابة ما يرضيها وما يخدمها و تفرضها على الخطيب فلا يخرج عنها كما أن أسلوبها ضعيف لا يرقى إلى الأسلوب الأدبي إطلاقا.

**2– أبرز موضوعات فن الخطابة بعد ظهور جمعية العلماء المسلمين في الجزائر:**

عند ظهور **جمعية العلماء المسلمين الجزائريين** سنة 1931، برزت عدة موضوعات جديدة في **فن الخطابة** نتيجة التحول الفكري والديني والسياسي الذي قادته الجمعية، والتي سعت إلى إحياء الإسلام الصحيح، ومقاومة الجهل والخرافة والاستعمار الفرنسي.

[1] – أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي ، ج8 ص115.

**1- الإصلاح الديني ومحاربة البدع والخرافات:**

كان الهم الأول للجمعية هو تطهير العقيدة الإسلامية من الشوائب والبدع التي لحقت بها نتيجة الجهل والاستعمار، فكانت الخطب تصبّ في **الدعوة إلى التوحيد الخالص ومحاربة مظاهر الشعوذة والزيغ العقائدي**، ركّز الخطباء على ضرورة العودة إلى القرآن الكريم والسنة النبوية بفهم سلف الأمة، كما هاجموا الطقوس الدخيلة مثل التوسل بالأولياء والتبرك بالقبور.

وقد كان الإمام عبد الحميد بن باديس من أبرز الخطباء الذين كرّسوا المنابر لهذا الغرض، إذ كانت خطبه تتسم بالقوة والوضوح في بيان العقيدة الصحيحة وتنبيه الناس إلى مخاطر البدع والتقليد الأعمى[1].

**2- محاربة الجهل والدعوة إلى التعليم**

رأت الجمعية في الجهل عدوا لا يقل خطرا عن الاستعمار، لذلك خصّصت خطبها للدعوة إلى العلم، وتعليم اللغة العربية، وفتح المدارس الحرة. وركزت الخطب على أهمية **القراءة والكتابة والتعلم في بناء الشخصية المسلمة والمجتمع القوي.**

وكان الشيخ الطيب العقبي يؤكد في خطبه أن الأمة لا تنهض إلا بالعلم، وأن المرأة الجزائرية يجب أن تُدرَج ضمن هذا المشروع الإصلاحي[2].

[1] - عبد الحميد بن باديس: الآثار الكاملة، ج2، تحقيق: عمار طالبي، دار المعرفة، الجزائر، 2005، ص112.

[2] -رابح بلعيد: الخطاب الإصلاحي عند جمعية العلماء المسلمين، دار الهدى، الجزائر، 2008م، ص76.

### 3- الدفاع عن الهوية العربية الإسلامية:

في مواجهة سياسة الفرنسة الممنهجة التي انتهجتها الإدارة الاستعمارية، أصبحت الخطابة منبرًا للدفاع عن **اللغة العربية والإسلام كثوابت وطنية** .فكانت الخطب تؤكد على أن الانتماء الحقيقي للجزائريين هو للإسلام والعربية، لا للفرنسية ولا للثقافة الغربية.

ونجح الخطباء في ترسيخ هذا الوعي في نفوس الناس، خصوصًا في القرى والمناطق التي تفتقد إلى التعليم النظامي[1] .

### 3- مناهضة الاستعمار الفرنسي والدعوة إلى التحرر

رغم الرقابة التي فرضها الاستعمار على المساجد، كانت خطب العلماء تنطوي على رسائل تحريضية ضد المحتل الفرنسي، فدعت إلى **الكرامة والحرية ومقاومة الظلم**، وتذكير الناس بتاريخهم الإسلامي، وفضح سياسة التجهيل والإفقار الاستعمارية.

وقد تميزت خطب الشيخ العربي التبسي بالقوة في مخاطبة النفوس وتحريك الهمم، داعيًا الشعب إلى التمسك بالحق ومواصلة النضال السلمي والفكري حتى تتحقق السيادة[2] .

### 4- تعزيز الأخلاق والسلوك الإسلامي:

لم تهمل الخطابة الجانب التربوي، إذ كانت الخطب تركز على الصدق، الأمانة، احترام الآخر، برّ الوالدين، نظافة اليد، والعفاف، فكان الخطباء يرون أن بناء الإنسان أخلاقيًا هو الخطوة الأولى نحو النهضة الحضارية.

---

[1] - أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج5، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998م، ص201

[2] - محمد الهادي الحسني: علماء الجزائر: أعلام الإصلاح والتنوير، دار الأمة، الجزائر، 2010م، ص139

وقد أبدع الشيخ محمد البشير الإبراهيمي في معالجة هذه القضايا الأخلاقية بخطابه المؤثر والعاطفي، خاصة في خطب الجمع ورمضان، حيث كان يربط الخُلق بالإيمان والإصلاح المجتمعي[1].

**5- الدعوة إلى الوحدة ونبذ التفرقة:**

في بيئة مزّقتها السياسات الاستعمارية من خلال التفرقة بين الأعراق والطوائف، عملت جمعية العلماء من خلال خطبها على تعزيز الوحدة الوطنية والدينية، معتبرة أن الجزائريين أمة واحدة تنتمي إلى الإسلام، وتتحدث لغة واحدة، ولها تاريخ مشترك.

وقد دعت الخطب إلى تجاوز النعرات العرقية والمذهبية، والتأكيد على الهوية الجامعة للأمة الجزائرية، مستندة إلى قوله تعالى﴿ واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا﴾[2].

لقد مثّلت الخطابة في عهد جمعية العلماء المسلمين أداة استراتيجية وفعالة لتوجيه الرأي العام الجزائري، فخرجت من الطابع الوعظي التقليدي إلى منبر إصلاحي، تثقيفي، وتحرري. واستطاع الخطباء من خلال الموضوعات التي عالجوها أن يصنعوا وعيًا جماعيًا مقاومًا، شكّل أحد أبرز الروافد التي مهّدت لاحقًا لانطلاق الثورة التحريرية الكبرى.

[1] - محمد البشير الإبراهيمي، عيون المقالات، ج1، دار الأمة، الجزائر، 2003، ص88.

[2] - سورة آل عمران، الآية 103.

# المحور السادس

# فن الرحلة وخصوصياته

**- فن الرحلة وخصوصياته:**

عرف الرحالة العرب والمسلمون رحلات عديدة طافوا من خلالها كافة البلاد الإسلامية وغير الإسلامية، كما تعددت أهدافهم وغاياتهم من تلك الرحلات، وقد استمرت الرحلات إلى عصرنا الحالي ، كما أن أغلب الرحلات القديمة كانت في أغلبها نحو البلاد الإسلامية بغرض الدراسة والتعلم أو التجارة أو الحج في البقاع المقدسة ، كما كانت هناك رحلات نحو الأعاجم ولكن ليست بالحجم الذي نشهده في العصر الحديث والمعاصر لذا نحاول أن نشير إلى بعض الرحلات القديمة التي كانت باتجاه الأعاجم.

لقد كان الرحالة العرب في عصر الحضارة الإسلامية المزدهرة ينظرون للآخر نظرة دونية وبالتالي فسمة المفاضلة كانت تشكل معيارا هاما في بنية تفكير الرحالة العربي أو الإسلامي في تلك الفترة، وقد انعكست هذه السمة في أغلب أثارهم الرحلية، فنجد مثلا ابن فضلان يصف الروسية بقوله هم " أقذر خلق الله لا يستنجون من غائط ولا بول ولا يغتسلون من جنابة ولا يغسلون أيديهم من الطعام بل هم كالحمير الضالة "[1] .

ويذكر لنا أحد المؤرخين" أنه بينما لم تنقطع الصلات بين الشرق والغرب منذ ظهور الإسلام ، حتى بعد خروج الصليبيين وفشل حملتهم إلا أن الحكم العثماني وقد حجب هذه البلدان عن الاتصال بالغرب وفرض عليها عصرا طويلا من التخلف الفكري والانتكاس الحضاري، الأمر الذي جعل أوروبا – خصوصا فرنسا – تفكر جديا في غزو هذا الشرق الضعيف وبدأ الاستعمار الغربي للشرق بالحملة الفرنسية على مصر عام 1798 م "[2] .

لقد قدمت الحضارة الغربية نفسها للوطن العربي على أنها رمز التطور والتقدم والتحضر في جميع المجالات، وتجلى ذلك عن طريق حملة نابليون بونابرت Napoléon (Bonna parte) على مصر( 1798– 1801)، أي مع بدايات القرن التاسع عشر وهذه أولى المحاولات الفرنسية للسيطرة على الوطن العربي على وجه الخصوص والعالم الإسلامي على وجه العموم ، هذه الحملة التي نبهت المصريين إلى التخلف والانحطاط الذي يعيشون فيه ، وبالتالي فقد كانت " بمنزلة المرآة التي رأى بواسطتها الوعي القومي حقيقة ما وصل إليه

[1] – حسن محمد فهيم : أدب الرحلات ، عالم المعرفة سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت ، يناير 1979 م ، ص177.

[2] – المرجع نفسه، ص181.

عالمه ، وأدرك على نحو صادم أوضاع هذا العالم ... الجامد وانغلاقه الخامل فوعى تخلفه مصدوما ، مقابل إدراكه تقدم الآخر الذي هزمه بما لا طاقة له به من علم ومخترعات وعتاد وعلماء وأوضاع وعلاقات لا تعرف التقليد المتحجر والانغلاق الجاهل"[1]، إنها جسدت لحظة مهمة من لحظات الفضول لمعرفة هذا الغرب ، حيث ولدت لدى حاكم مصر آنداك محمد علي باشا فضولا كبيرا لمعرفة هذا الآخر المتطور في كافة المجالات ، حيث أدرك أن ذلك لا يكون إلا عن طريق السفر والذهاب إليه ، وهكذا أرسل محمد علي البعثات العلمية في مختلف فروع العلم والمعرفة إلى أوروبا وكانت أول بعثة سنة 1826 م وكان من ضمنها الإمام والمرشد رفاعة رافع الطهطاوي (1801م–1873م) الذي رشحه حسن العطار يقول الطهطاوي " فلما رسم اسمي في جملة المسافرين ، وعزمت على التوجه أشار علي بعض الأقارب والمحبين – لاسيما شيخنا العطار فهو مولع بسماع عجائب الأخبار والاطلاع على غرائب الآثار – أن أنبه على ما يقع في هذه السفرة وعلى ما أراه وأصادفه من الأمور الغريبة والأشياء العجيبة وأن أقيده ليكون نافعا " [2].

عمل الطهطاوي على تدوين كل أسباب التقدم الغربي رغبة منه في إصلاح الوضع الحضاري الذي آلت إليه بلاده، وكان الحل في ذلك هو تدوين أسباب التقدم والإفادة من منجزاته الحضارية، وقد دون كل ذلك في كتابه الشهير "تخليص الإبريز في تلخيص باريز" الذي يعد حلقة هامة في إيصال العالم الغربي بالعالم العربي ، حيث وافانا بحديث شيق عن الحياة الحضارية بباريس، إذ تطرق إلى جوانب عديدة ترتبط بالحياة الاجتماعية والعلمية والدينية والاقتصادية والعمرانية والثقافية والسياسية ، كما أفرد حديثا عن صورة المرأة وعلاقتها بالرجل .

لقد تحدث عن أخلاق الباريسيين وآدابهم داخل البيت وخارجه مبديا إعجابه في ذلك وفي الوقت نفسه مبديا حسرته لخلو هذه الآداب من الديار المصرية ، وتتلخص هذه الآداب في بعض الظواهر المرتبطة بالوفاء بالوعد وعدم الغدر والخيانة وإكرام الضيف ومحبة الغريب، وبعض الجوانب السلوكية المرتبطة بآداب الأكل وحب النظافة .

---

[1] – جابر عصفور: الغرب بعيون عربية : الكتاب العربي ، الكويت، يناير ، 2005م ،ج 1، ص11.

[2] – حسين محمد فهيم : أدب الرحلات ، م س ، ص 184 .

تحدث الطهطاوي في مؤلفه عن الإنسان الفرنسي من كافة الجوانب من حيث طريقة حياته ومأكله ومشربه ومعاملاته، أي تعرض لكل المظاهر الاجتماعية ، كما أفرد حديثا عن المرأة الفرنسية و ما تتمتع به ،كما تطرق للمظاهر الحضارية وغير ذلك وكان في بعض الأحيان يجري مقارنات بين الأنا والآخر ، فعلى صعيد وصف الأنا والآخر في مرآة الحياة الاجتماعية يتحدث عن نظافة الآخر وقذارة الأنا "ومما يستحسن في طباع الإفرنج دون ما عداهم من النصارى حب النظافة الظاهرية ، فإن جميع ما بتلى الله سبحانه وتعالى قبطة مصر من الوخم والوسخ وأعطاه للإفرنج من النظافة ولو على ظهر البحر ... مع أن النظافة من الإيمان ، وليس عندهم منه مثقال ذرة ومع ما عند الفرنساوية "[1] ، كما يظهر الطهطاوي تقابلا آخر بين الأنا والآخر في مجال العلوم ، حيث يرى تفوق الآخر في علوم الدنيا في مقابل الأنا التي تفوقت في العلوم الدينية ، ويرجع سبب تطور الآخر في علوم الدنيا إلى اهتمامه بعلوم الطب والهندسة والرياضيات " فالبلاد الإفرنجية قد بلغت أقصى مراتب البراعة في العلوم الرياضية والطبيعة وما وراء الطبيعة أصولها وفروعها... وكما أن البلاد الإسلامية قد برعت في العلوم الشرعية والعمل بها في العلوم العقلية وأهملت العلوم الحكمية فلذلك احتاجت إلى البلاد الغربية في كسب ما لا تعرفه ، ولهذا حكم الإفرنج بأن علماء الإسلام إنما يعرفون شريعتهم ولسانهم يعني ما يتعلق باللغة العربية "[2] .

كما أشار الطهطاوي إلى بعض سلبيات الآخر مثل ما نسميه اليوم " بلغة العصر العنصرية القائمة على اللون فالآخر هو الأبيض وآخره هو الأسود ، الأبيض فضيلة والأسود رذيلة الأبيض جميل والأسود قبيح ، وقد نشأ ذلك نتيجة لعدم الزواج المختلط بين البيض والسود حفاظا على نقاء وصفاء الجنس"[3] .

---

[1] – رفاعة رافع الطهطاوي : تخليص الإبريز في تلخيص باريز ، الدار المصرية للكتاب ، مصر ، ط2 ،1986 م، ص46 .

[2] – المرجع نفسه ، ص ص16 ،17.

[3] – حسن حنفي: جدل الأنا والآخر: دراسة في تخليص الإبريز للطهطاوي ضمن كتاب صورة الأنا والآخر ناظرا ومنظورا إليه، تحرير طاهر لبيب : م س، ص283.

لقد عبر الطهطاوي عن مدى انبهاره بالحضارة الغربية إلا أنه تحفظ في بعض الأمور المتعلقة بالأخلاق نتيجة تربيته الدينية ، وبالتالي فتقرير رحلة الطهطاوي يعد " توثيقا اثنوجرافيا دقيقا وشيقا للعديد من أوجه الحياة الفرنسية كما شاهدها وتفاعل معها مدة خمس سنوات قضاها بباريس "[1] .

ومن تم فإن كتاب "تخليص الإبريز في تلخيص باريز" لرفاعة الطهطاوي لم يكن وصفا لأوروبا وحدها أو وصفا لأحوال التقدم الفرنسي على وجه الخصوص ، وإنما كان وصفا لأحوال الوطن العربي في الوقت ذاته ، ومن تم " وصفا لأحوال التخلف ولذلك كانت عناصر الحضور في الوقت نفسه مقترنة بعناصر الغياب التي كانت تشير دائما إلى الأصل الذي يستعاد إما على سبيل الاستهجان لما فيه بالقياس إلى استحسان ما هو موجود لدى الآخر أو على سبيل المقارنة المضمرة التي تخفي الإعجاب من الآخر"[2].

إن رحلة الطهطاوي بقدر ما كانت تكتشف تقدم الآخر كانت تكتشف في الوقت نفسه تأخر الأنا ، وهذا ما جعل موضوعها الأساس وصف أوضاع الآخر ، وفي الوقت نفسه يتضمن حديثا مضمرا غير مباشر عن أوضاع المجتمع العربي .

إذن فالغاية من هذه الرحلة حسب ما يرى حسن حنفي ليست وصف الآخر بل قراءة الأنا في مرآة الآخر إذ " ليست الغاية قراءة باريس في ذاتها بل قراءة مصر في مرآة أوروبا وليست الغاية الذهاب إلى باريس بل العودة إلى مصر، وليست الغاية التعلم بل الإفادة بالعلم ، فالذهاب إلى باريس هو تطبيق لفرمان " إحياء القلوب" العثماني للحث إلى التعلم"[3].

إن المتفحص لكتاب الطهطاوي " تخليص الإبريز في تلخيص باريز " يستنتج في يسر أن صاحبه قد أقامه على جملة من المقابلات بين الأنا والآخر بين المسلم والمسيحي مبرزا خصال كل طرف مبينا نقاط تفوق الغرب ونقاط سلبياته ، وكان أول مقياس اعتمده الطهطاوي لتصنيف الأمم هو المقياس الديني وتبعا لذلك كان ترتيب الأمم.

---

[1] – حسن محمد فهيم: أدب الرحلات، م س، ص 183.

[2] – جابر عصفور: الغرب بعيون عربية: مرجع سابق ،ج 1، ص38.

[3] – حسن حنفي: جدل الأنا والآخر، دراسة في تخليص الإبريز للطهطاوي ، ضمن كتاب صورة الأنا والآخر ناظرا ومنظورا إليه ، تحرير طاهر لبيب ، مرجع سابق ، ص283 .

عمل الطهطاوي على تدوين كل أسباب التقدم الغربي رغبة منه في إصلاح الوضع الحضاري الذي آلت إليه بلاده ، وكان الحل في ذلك هو نقل أسباب التقدم والإفادة من منجزاته الحضارية وقد دون كل ذلك في كتابه الشهير " تخليص الإبريز في تلخيص باريز".

إلى جانب رحلة الطهطاوي نجد رحلات أخرى لا تقل أهمية عنها في وصف مظاهر الحضارة الأوروبية ومن بين أهم تلك الرحلات : رحلات أحمد فارس الشدياق نحو مالطة وبريطانيا وفرنسا ، وقد دونها في ثلاثة كتب سماها " الواسطة في معرفة أحوال مالطة " و"كشف المخبأ عن فنون أوروبا " و " الساق على الساق فيما هو الفارياق " .

وبالموازاة في المغرب العربي ظهر خير الدين التونسي ( 1822م– 1890 م) وكان رجل دولة وسياسيا بارزا أرسله الباي محمد الصادق إلى فرنسا ليعاين عن قرب الفوارق الحضارية والفكرية والاقتصادية والعمرانية بين الحضارة الشرقية والحضارة الغربية ، وهذا ما دفعه إلى تدوين كل مشاهداته من خلال مصنفه الشهير " أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك " و" تنبيه ذوي الغفلة من عوام المسلمين عن تماديهم في الإعراض عما يحمد سيرته من مدينة الغير ، ومن ناحية أخرى فإن خير الدين التونسي كان يرى أن مد الحضارة الغربية قادم لا محالة "[1]، لذا يدعو إلى ضرورة الأخذ من الحضارة الأوروبية ولكن بما يتوافق ومبادئ شريعتنا الدينية ومصلحة بلادنا العربية ويساهم في تقدمها وتطورها وتمدنها ولذلك فقد وقع انتقادا للغافلين عن حضارة الغرب حيث رفضوا الأخذ عنها بعلة أنها بلاد إفرنجية لا تتوافق ومبادئ العرب المسلمين، فقد سمع خير الدين أحد الأعيان في أوروبا يقول "إن التمدن الأوروبياني تدفق سيله في الأرض فلا يعارضه شيء إلا استأصلته قوة تياره المتتابع فيخشى على الممالك المجاورة لأوروبا من ذلك التيار إلا إذا حذو حذوه وجروا مجراه في التنظيمات الدنيوية فيمكن نجاتهم من الغرب " [2] .

إن خير الدين التونسي كان يرى أنه لا مفر من التعلم من حضارة الغرب ونظمه ولكن المشكلة كانت في ضرورة التصالح مع البنية التقليدية للثقافة السائدة في تونس وكان

---

[1] – أحمد محمد سالم : صورة الغرب في الخطاب الإصلاحي الديني تعايش أم مواجهة ضمن كتاب العلاقة مع الغرب من منظور الدراسات الإنسانية ، عالم الكتب الحديث ، الأردن ، ط 1 ، 1430 هـ / 2009 م ، ص 184 .

[2] – خير الدين التونسي : أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك، المؤسسة الجامعية، بيروت، لبنان، 1978 م، ص ص 206، 207 .

يقول " بأن الغرض من ذكر الوسائل التي أوصلت الممالك الأوروبية إلى ما هي عليه هو أن تتخير ما يكون مجالا لائقا ولنصوص شريعتنا مساعدا وموافقا "[1] ، يدعو خير الدين التونسي بضرورة التعلم من أوروبا ، لأن العلوم المنتشرة في أوروبا هي في الحقيقة علوم إسلامية أخذها الغرب عنا قديما أيام ازدهار الحضارة الإسلامية ، وما نحن اليوم إلا مستردون لإرثنا ولعلومنا ، ولكن بشرط أن يكون هذا الأخذ وفق ما يتوافق ومبادئنا الإسلامية.

لكن أكثر ما أبهر خير الدين التونسي في باريس التنظيمات السياسية التي تعتمد أساسا على الفصل بين السلطات والانتخابات والنظم الدستورية والبرلمان. كما كان التركيز على مبدأ الحرية والعدل والمساواة من أهم المبادئ التي يقوم عليها النظام الأوروبي وفي هذا يقول " إن التنظيمات التي نشاهدها عند غيرنا في التأسيس على دعامتي العدل والحرية اللذين هما أصلان في شريعتنا ولا يخفى أنهما ملاك القوة والاستقامة في جميع الممالك"[2].

يدعو خير الدين إلى ضرورة أخذ هذه التنظيمات عن الحضارة الأوروبية لأنها هي السبب في تطور وتقدم وازدهار أوروبا، ويبين أن شريعتنا لا تتنافى مع هذه النظم وفي هذا يقول " الشريعة لا تنافي تأسيس التنظيمات السياسية المقوية لأسباب التمدن"[3]. هكذا كان خير الدين التونسي مثال الحداثة والتجديد فقد أحسن شعار الأخذ عن الغرب والتعامل معه باعتباره النموذج الأفضل الذي يجب الاقتداء به والأخذ عنه بما يتوافق وديننا الحنيف .

وبذلك تتابعت الرحلات العربية إلى أوروبا خلال القرن العشرين وإن تعددت أهداف الرحالة وتباينت اتجاهاتهم الفكرية و استخلاصاتهم النظرية مما لاحظوا وعاينوا ودرسوا في الغرب [4] .

إن بين الرحلة والرحيل فرق اليوم من حيث البواعث والأهداف ، فإذا كان هدف الرحلة في القديم يقوم على الاكتشاف والفضول في معرفة المجهول ، فإن الرحلة غدت اليوم رحيلا وهروبا من الواقع المرير، وبالتالي نجد هناك فرقا بين رحلات القدامى ورحلات

---

[1] – أحمد محمد سالم : صورة الغرب في الخطاب الإصلاحي ، م س ، ص 192.

[2] – خير الدين التونسي : أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك ، م س، ص 154.

[3] – المرجع نفسه، ص 209.

[4] – حسين محمد فهيم : أدب الرحلات ، م س ، ص 90 .

المحدثين، فالرحالة قديما أينما يحل تجده معتزا ببلاده ودينه وثقافته وهويته وذلك أيام ازدهار الحضارة الإسلامية، أما بعد اضمحلال هذه الحضارة وضعفها أضحى الرحالة في عصر النهضة يعيش حالة انبهار واندهاش بالحضارة الغربية .

وفي الأخير يمكن استخلاص أهم مبادئ الرحلة في العصر الحديث بذكر أهم الفروق التي تميزت بها الرحلة اليوم عن الرحلة في العصر القديم وأول فرق بين الرحلات الحديثة والقديمة يكمن على مستوى الأسباب فقد أصبح سبب الارتحال إلى الغرب من أجل اكتساب المعرفة والتمكن من بعض أسباب التقدم والتطور والازدهار، كذلك الشعور المتولد عند الرحالة في العصر الحديث " بين سوء أحوال الإسلام وانحطاط أهله، وتقدم أهل الكفر وعلو شأنهم إنه شعور المرارة والأسى ، فحيث أنت تجد الرحالة المسلم زمان ابن بطوطة ممتلئا بالحماسة والقوة في حديثه عما عنده وليس لغيره فأنت تجد عند الشدياق والطهطاوي ... شعورا بالأسف "[1] .

وأهم فرق يمكن إرجاعه إلى مستوى الرؤية في الرحلة فحيث كنا معتادين عند الرحالة القدامى على حديث يكون القصد منه الإمتاع وذكر العجيب والغريب أصبحنا نجد عند الرحالة في العصر الحديث حديثا يطفح من جهة أولى بالإعجاب الشديد بما يلاحظه العقل من أسباب القوة والتقدم ونلمس من جهة ثانية دعوة حقيقية إلى وجوب الاقتباس من "الغرب" والأخذ مما عنده لما كانت به أسباب التفوق والرقي والازدهار .

**ثالثا: دواعي الرحلة وأنواعها**

تتنوع دوافع الرحلة بين الحاجة والاكتشاف، فمنها ما يكون لأغراض تجارية أو دينية أو علمية أو سياحية. ولكل نوع منها دوره في توسيع المعرفة وتعزيز التواصل بين الثقافات، كما تتعدد أنواع الرحلات لتشمل الرحلات التجارية، والدينية، والعلمية، والسياحية، وكل منها يعكس جانبًا من تطلعات الإنسان وسعيه المستمر لاكتشاف العالم من حوله، وهذا ما سنتناوله في هذا العنصر:

[1] – سعيد بن سعيد العلوي : أوروبا في مرآة المرحلة ، صورة الآخر في الرحلة المغربية المعاصرة ، دار السويدي للنشر والتوزيع ، الإمارات العربية المتحدة ، ودار الأهلية للنشر ، عمان ، الأردن ، ط 1 ، 2006 م ، ص 23 .

**1-دواعي الرحلة:**

تنوعت البواعث التي استدعت فعل الارتحال وفعل التدوين، أما عن دواعي فعل الارتحال فيقسمها حسين نصار إلى قسمين:

**أ- مسيرات الرحلة:**

وتشمل الدواعي التي هيأها المجتمع، وشجعت الرحالة، وتشمل الضرورة التي سببتها الظروف الجغرافية الصعبة، كان ذلك قبل الإسلام، وبعد البعثة حث الإسلام على السياحة للتأمل في المخلوقات، والاتعاظ من آثار الأمم، وبعد أن رست أركان الدولة الإسلامية واتسعت رقعتها، سعت إلى تيسير السفر بغية معرفة أحوال الأقاليم الخاضعة لها، حيث "أقامت منظومة كاملة من العمران والطرق الآمنة ومراكز الخدمة وجهزت الموانئ وبنت السفن وبيوت الضيافة والحراسة"، وعملت على تنظيم البريد والعناية بمعالم مسافة الطرق، وتوفير الأوقاف لأبناء السبيل والفنادق لنزول المسافرين بالأجر، كما أبدى الناس كرم أخلاق في إيناس الغريب وإكرامه، يشهد على ذلك ما رواه ابن بطوطة (ت 779هـ)، وابنحوقل (ت 367هـ)، وابن جبير (ت 614هـ) في رحلاتهم.[1]

وقد ساهم توفر العمل والإذن للأجانب به في تيسير السفر بدليل ما ذكر المقدسي (ت 380هـ) في أحسن التقاسيم عن كثرة اشتغال الرحالة بالتجارة، والتعليم والقضاء، ومنهم من شغل وظائف حكومية أو تقرب من الحكام بمدحهم فأعفي من الضرائب...،[2] ومن الطريف أن إباحة الإسلام تعدد الزوجات خدمت الرحالة بتسهيل ظروفه الاجتماعية، والشاهد على ذلك ما رواه ابن بطوطة عن زيجاته في بلدان مختلفة. ولئن

[1]- محمد بن سعود الحمد: موسوعة الرحلات العربية والمعرفة المخطوطة والمطبوعة معجم بيبليوجرافي،القاهرة، ط1،2007، ص08.

[2]- حسين نصار: أدبيات أدب الرحلة، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، مصر، ط1، 1991، ص04-13.

لم تشكل اللغة حاجزا أمام تنقلات الرحالة خارج الخلافة، إذ ذللوها بالتعلم أو بمرافقة من يجيدها، فلقد لعبت وحدة اللغة داخل الخلافة دورا في تفادي مشقة التفاهم.[1]

**ب- دواعي شخصية:**

أبرزها الشغف بالمغامرة والمجازفة، وميل الرحالة البساطة العيش، والزهد في كمالياته، وهي صفة ملازمة لمن ألفت أرواحهم متعة الطواف والانشغال بأن يحيوا "إيمانهم العميق بفائدة الرحلة".[2]

**جـ- دواعي التدوين:**

جاء تدوين الرحلة استجابة لطلب الحاكم أو الأصدقاء والأقرباء والإخوان، رغبة منهم في التمتع بدهشة الاطلاع على النوادر والطرائف والغرائب، أو النهل من خلاصة التجارب، أو للاستزادة من معين المعارف، وريّ ظمأ الفضول لاكتشاف ما قصرت ظروف معيشتهم عن تمكينهم من رؤيته من أصقاع العالم، والانفتاح على الآخر الذي يقاسمهم إياه.[3]

وقد تكون الرغبة نابعة من الرحالة نفسه في مقاسمة الناس ما حازه من خبرات وعلوم إثر تنقلاته، والتاريخ للوقائع والظواهر والمشاهدات، وترك مشواره زادا للأجيال. ولا شك أن الرحالة العرب قد تنبهوا إلى قيمة منجز الرحلة، ودوره في إثراء المكتبة العربية والفكر الإنساني، لما خبروه عند استفادتهم من الإرث الجغرافي الذي خلفته الأمم الأخرى.[4]

**د- دوافع أخرى:**

ولقد تتعدد الدوافع التي تحمس الإنسان للرحلات، وتختلف من شخص إلى آخر، ومن قوم لقوم، ومن عهد لعهد إلا أنها في الأغلب لا تخرج عن أن تكون:

- دوافع دينية: وهذا القسم يتعدد بتعدد أنواعه:

---

[1]- حسين نصار: أدبيات أدب الرحلة، م س، ص14.

[2]- المرجع نفسه، ص16.

[3]- المرجع نفسه، ص ص51، 52.

[4]- محمد بن سعود حمد: م س، ص52.

- الهجرة
- أداء فريضة الحج.
- الرحلة للجهاد أو الرباط في سبيل الله.
- الرحلة بقصد العبرة والاتعاظ
- تبليغ الدعوة إلى أقطار العالم
- دوافع علمية أو تعليمية : بغرض الاستزادة من العلم في منطقة أخرى من العالم، ومن قبيل ذلك أيضا رحلات البحوث العلمية والكشوف الجغرافية[1].
- دوافع سياسية كالوفود والسفارات التي يبعث بها الحكام إلى حكام الدول الأخرى لتوطيد العلاقات، ولتبادل الرأي.
- دوافع حربية تكون بغرض استغلال موارد الأمم الضعيفة، وفرض السيطرة عليها.
- دوافع سياحية وثقافية تصدر عن رغبة في الطواف نفسه والسفر لذاته، وحب التنقل وتغيير الأجواء، ومعرفة الجديد من خلق الطبيعة والبشر، وقد تكون لمعرفة المعالم الشهيرة كالآثار وغيرها.
- دوافع اقتصادية : " للتجارة وتبادل السلع، أو لفتح أسواق جديدة لمنتجات محلية، أو الجلب سلع تتوافر في بلاد أخرى. وقد يكون للعمل.....
- دوافع صحية كالسفر للعلاج.
- أغراض أخرى "كالسخط على الأحوال، أو الهروب من العقوبة[2].

[1]– سالم بن لباد ومالكي سميرة: أدب الرحلات الحجازية الجزائرية غي القرن الثامن عشر الميلادي أنموذجا، مجلة لغة كلام، المجلد07، العدد02، ص 75.

[2]– المرجع نفسه: ص75.

**2-أنواع الرحلات:**

تعددت معايير تحديد أنواع النصوص الرحلية وهي:

- **معيار أسباب الرحلة وأهدافها:** تفاوت عدد الرحلات بين الدارسين وفق هذا المعيار حتى بلغ عند بعضهم خمسة عشر قسما، نذكرمنها:

-**الرحلة الحجازية:** يضعها صاحبها بعد الفراغ من فريضة الحج، ويحتل هذا النوع صدارة الرحلات نظرا لما تتمتع به الأماكن المقدسة من مكانة عالية عند المسلمين في كل الأصقاع، وكذا الأماكن المقدسة عند بقية الأديان، فكانت القيم الروحية التي يتطلع إليها المسلم تجعل غربته عن الأهل وكل ما يربطه بالدنيا هيئة، لأنه ملتجئ بكليته إلى الحي الذي لا يفنى أملا في تطهير النفس. والجديد بالذكر أن الأماكن المقدسة شملت إلى جانب مكة والمدينة بلد الشام وفلسطين، "القدس بوصفها أولى القبلتين ومسرى الرسول صلى الله عليهوسلم،ومدينة الخليل لما حوته من مدافن الأنبياء".[1]

ومثالها : رحلة ناصر خسرو (ت 481هـ) سفر نامه، إذ انطلق من مرور سنة 1046م يريد الحج، وقد زار في طريقه الأماكن المقدسة بفلسطين، وقدم وصفا فريدًا لبيت المقدس، ومنها أدى الحج لأول مرة، لتتعدد زياراته الحجية أثناء إقامته بمصر، وقد جاء تدوينه لرحلته متزامنا مع الفعل الرحلي.[2]

ورحلة ابن جبير الذي رفع من ضرب الصياغة الأدبية في فن الرحلة إلى درجة عالية، والذي تأتي رحلته بعد ندمه على طاعة أمر الخليفة بشرب الخمر، حيث انطلق سنة 1183م يريد الحج، ولئن عد كراتشكوفسكي العنوانين الذين وصلتنا بهما (اعتبار الناسك فيذكر الآثار الكريمة والمناسك تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار) منحولين، فقد أثنى على مضمونها

---

[1]-علي إبراهيم كردي: أدب الرحلة في المغرب والأندلس، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، د ط، 2013م، ص ص12، 13.

[2]-إغناطيوس يوليانوفيتش كراتشكوفسكي: تاريخ الأدب الجغرافي العربي، تر: صالح الدين عثمان هاشم، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ج01، القاهرة، د ط، 1965م، ص 259 ، 260.

وأسلوبها، إذ دون الرحالة ما عاصره من أحوال بلاد الإسلام في المشرق، وأثر شخصية صلاح الدين الأيوبي باد على ما نظمه من شعر فيما بعد، فضلا عن رحلته التي دونها بعد رجوعه في حوالي1185م[1].

ولما كان الدافع الديني هو ما يبعث على القيام بهذه الرحلات، فلقد ميز بعض الدارسين بين الرحلة الحجازية، والزّياريّة، على أساس ارتباط الأولى بمناسك الحج والعمرة، وارتباط الثانية "بزيارة أضرحة الأنبياء والأولياء ومشاهدهم"[2]، وتبرز رحلة علي الهروي (ت611هـ) مثالا على هذا النوع، لقب هذا الرحالة بالسائح لقضائه حياته في التجوال، وقد طلب زيارة أضرحة الأولياء والمقامات عبر زيارات تعكس رياضة روحية، لم تخل من اهتمام بتدوينه اسمه في كل مكان زاره، وقد دون رحلته الموسومة بكتاب الإشارات إلى معرفة الزيارات اعتمادا على ذاكرته نظرا لضياع ما دونه أثناء الارتحال.[3]

- **الرحلة العلمية:** تكون غايتها طلب العلم، ولقاء المشايخ وارتياد المكتبات الشهيرة، أو حضور المؤتمرات العلمية...[4] ومن قبيل ذلك أيضا رحلات البحوث العلمية والكشوف الجغرافية، فدافعها علمي أو تعليمي يتوخى منه الاستزادة من العلم وقد تنوعت مجالات العلوم المنشودة كالفقه والطب والهندسة..."، وتذكر كتب الحديث والسير أن من الفقهاء والعلماء من كان يقطع القفار ويعبر الأنهار طلبا الحديث نبوي سمع به، أو لمجرد التحقق من كلمة فيه[5]، وقد كان ذلك محط إكبار وتجلّة للرحالة، يؤكد ذلك إشارة المؤلفات لكثرة الراحلين من أهل المغرب والأندلس إلى المشرق طلبا للعلم.[6]

---

[1]- المرجع نفسه: ص ص297-299.

[2]- حسين نصار: أدبيات أدب الرحلة ، م س، ص18.

[3]- كراتشكوفسكي: تاريخ الأدب الجغرافي العربي، م س ، ص 320،321.

[4]- حسين نصار: أدبيات أدب الرحلة ، م س، ص18.

[5]- فؤاد قنديل:أدب الرحلة في التراث العربي، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة، ط02، 2002، ص20، 19.

[6]- علي إبراهيم كرد، مرجع سابق الذكر، ص10.

ولا يخفى على أحد ارتباط الرحلة بعلم الجغرافيا حيث عد شادا عن المألوف "من لم تكن الجغرافيا همه الأساسي من رحلته"[1]، ولعل خير مثال في هذا الباب رحلة البيروني (440هـ) الذي يرى كراتشكوفسكي أن رحلته الموسومة بتحرير ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة تمثل ذروة المسار العلمي الحافل لهذا الرحالة بشهادة عدد من الدارسين في الغرب، وذهب لاستحالة حصر تصنيفها في الجغرافيا نظرا لما أحاطت به من حضارة روحية للهند، وكم هائل من المعلومات الإثنوغرافية، فالمحتوى المعرفي الذي حوته شك كل نسيجا لا يوجد له مثيل".[2]

كما تطالعنا في هذا الباب رحلة الإفادة والاعتبار في الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر للبغدادي (ت 629هـ)، والتي امتازت بدقة الوصف والملاحظة، وقد شملت الحديث عن العمران، والآثار والنبات والحيوان والمناخ والحوادث التاريخية، وآثارها على المجتمع مع ذا عاصره وصاغه بأسلوب يبدي إعجابه بما رأى،[3]وقد أنتج هذا النوع من الرحلات صنفا من المؤلفات يعمد فيه الرحالة إلى ذكر العلماء والأدباء الذين أفاد منهم وقد سمي هذا النوع من الكتب عند المغاربة بالفهرسة، وعند الأندلسيين بالبرامج، وعند المشارقة بالثبت[4].

-**الرحلة السفارية (الإدارية):** تقابل حديثا ما يسمى الرحلة الدبلوماسية، تكون دوافعها سياسية "كالوفود والسفارات التي يبعث بها الملوك والحكام إلى ملوك وحكام الدول الأخرى"، مثل رحلة ابن فضلان إلى بلاد الترك والروس والصقالبة بتكليف من الخليفة العباسي المقتدر بالله ضمن سفارته لملك الصقالبة [5].

---

[1]- حسين نصار: أدبيات أدب الرحلة ، م س، ص32.

[2]-كراتشكوفسكي: تاريخ الأدب الجغرافي العربي، م س، ص245.

[3]- زكي محمد حسن: الرحالة المسلمون في العصور الوسطى، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان،1981هـ، ص 111-117.

[4]-حسين نصار: أدبيات أدب الرحلة ، م س ، ص35.

[5]- فؤاد قنديل، أدب الرحلة في التراث العربي ، ص20.

يكون هذا النوع من الرحلات إما لحل قضايا سياسية، أو لمناقشة شؤون الحرب والسلم، أو لتوطيد العلاقات وإبرام المعاهدات، وأقدم رحلة في هذا النوع رحلة الغزال(ت 250هـ) إلى القسطنطينية سفيرا إليها بإيعاز من خليفة قرطبة استجابة منه لطلب البيزنطيين، أو للتجسس، كما تشمل مرافقة الرحالة للملوك ورجال الدولة في أسفارهم الرسمية، ويدخل في هذا الباب أيضا مرويات الأسرى المسلمين في البلاد الأجنبية أو رحلات افتكاك الأسرى، وتحرير المخطوطات والكتب العربية المصادرة من قبل. النصارى كرحلة المكناسي (ت 1213هـ) الإكسير في فكاك الأسير، أو للتظلم على نحو ما قام به الغزي الدمشقي (ت 984هـ) في المطالع البدرية في المنازل الرومية إثر عارض لم يفصح عنه ألم به في دمشق اقتضى منه الذهاب لروما، وقد أسهب في وصف الجانب الجغرافي والعمراني، إلى جانب المساجد والمقامات.[1]

-**الرحلة السياحية:** تصدر عن رغبة في الطواف كفاية بحد ذاته حبا في التنقل، وتطلعا لمعرفة الجديد بالمشاهدة والمغامرة واكتساب الخبرة بالمسالك والطبائع، واستكشاف الآثار، والغرائب والعجائب.[2]

-**الرحلة الاقتصادية:** تكون قصد العمل سواء في التجارة وتبادل السلع بجلبها أو بيعها [3]، أو لجمع التبرعات والمعونات على نحو ما برز في بعض الرحلات المسيحية، كالرحلة التي قام بها "مكاريوس بطريرك" الكنيسة الأنطاكية في دمشق إلى تركيا، والبلقان وأوكرانيا، وروسيا،لتسديد الديون وقد دونها ابنه "الأرشيد ياكون بولس" باللغة العربية.[4]

-**الرحلات العامة:** هي التي اجتمعت فيها عدة أسباب مما ورد ذكره سابقا، ويمثل لهذا النوع بأشهر رحلة في الأدب العربي رحلة ابن بطوطة "تحفة الأنظار في غرائب الأمصار

---

[1]- مكي سعد الله: م س، ص189.

[2]- فؤاد قنديل: أدب الرحلة في التراث العربي ، ص20

[3]- محمد بن سعود حمد: م س، ص11.

[4]- حسين نصار: أدبيات أدب الرحلة ، م س ، ص ص31-32.

وعجائب الأسفار"، فهي رحلة دينية لغرض الحج، لكن رغبة الرحالة في السفر جعلته يواصل الارتحال،لتشمل عبر ما اعترضه فيها جوانب علمية وسفارية...ناهيك عن الدواعي التي قد تكون تمويهية، والتي لا تخرج ظاهرا وباطنا عما سبق ذكره، أو بواعث شخصية نفسية للترويح عن النفس من مذكرات الحياة، أو صحية... وغير ذلك مما لا يمكن استيفاء ذكره.[1]

**معيار تشكيل اللغة في النصوص الرحلية يشمل هذا المعيار نوعين هما:**

**الرحلة النثرية:** النثر مجال فسيح لا حدود له، وهو الموطن الطبيعي للرحلة، وقد فتحت رحابته أفقا واسعا لأنماط تعبيرية متنوعة خدمت الرحلة،والهدف المتوخى من تدوينها، إذ مزجت بين التقارير الرسمية على نحو ما عكسته رحلة سلام الترجمان وابن فضلان، والرسائل كرحلة أبي دلف إلى الصين.... إلى جانب القصر الذي وسم عددًا كبيرًا من الرحلات النثرية وغلب على الشعرية، دون أن ننسى القيمة العلمية التي توفرها والطابع الفني الذي يتخللها.[2]

والحقيقة أن السمات الثلاث الأخيرة تتفاوت من نص رحلي لآخر، على أن الرحلات النثرية – في مجملها – تستهل بعناصر دينية كالتحميد والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم إن كان الرحالة مسلما، ثم الظروف التي أحاطت بفعل الارتحال وبفعل التدوين، ثم ينبري لسرد قوام الرحلة، ووصف ما استرعي انتباهه واحتل مكانة في ذاكرته – إذ يكثر تدوين الرحلة بعد الفراغ منها –من وقائع ومشاهدات مما يتصل بمختلف مجالات الحياة.[3]

**الرحلة الشعرية:** الحنين إلى منازل لم يبق منها إلا رسوم، والحزن إثر الشوق معان ارتبطت بالقصيدة العربية منذ الجاهلية، غير أنها كانت جزءا منكل، وقد حظي التراث الأدبي العربي برحلات أفردت لها قصائد مستقلة:

---

[1]– حسين نصار: أدبيات أدب الرحلة ، م س، ص103.

[2]– المرجع نفسه، ص ص103– 105.

[3]– المرجع نفسه، ص ص106–107.

في الشعر الفصيح تطالعنا في هذا الباب الأرجوزة الحجازية لماجد السعدي النجدي (ت 906هـ)، التي فاقت الألف بيت، ضمنها وصف الملاحة على سواحل البحر في القرن الخامس عشر ميلادي ( 9 هـ).

والجدير بالذكر أن التراث الأدبي يحفظ بالحرف العربي نصا من الأدب الموريسكي الواحدة من أغرب الرحلات الشعرية، قطع مخطوطها رحلة قدر لها أن تكشف فصلا من الفصول السوداء في تاريخ الإنسانية، النص عنوانه قصيدة الحاج القادم من بويمنسون، لشخص مجهول الاسم يتحدث عن رحلة حج إلى مكة عبر طريق لم يخل من المخاطر بسبب الاضطهاد الإسباني المسيحي للمسلمين.[1]

في الشعر الملحون قصيدة العقيقة التي نظمها سعيد المنداسي سنة 1088هـ / 1678م "في مدح الرسول والصحابة والأنصار والبقاع المقدسة"، وما ارتبط بها من قيم روحية.[2]

ج-**معيار علاقة نص الرحلة بالواقع قسمت الرحلات وفق هذا المعيار إلى:**

- **الرحلة الواقعية ( الفعلية )** :تروي فعل ارتحال قام به الرحالة حقيقة بالانتقال من حيز إلى آخر عبر المكان والزمان، ويدخل في هذا القسم الرحلات المذكورة أنفا وكذا الرحلة موضوع الدراسة.

- **الرحلة الخيالية:**هي عكس الفعلية "إذ لا تتأسس على الوجود الفيزيائي، بل على ما يصبو إليه الخيال من تأمل وتفكير،وفيها طابع استكشافي لما هو أسمى من المادة"[3]، وتتوزع الرحلة الخيالية في التراث الأدبي العربي على ثلاثة أشكال:

✓الرحلة الخيالية الإبداعية إلى العوالم الأخروية و الميتافيزيقية.

---

[1]- حسين نصار: أدبيات أدب الرحلة ، م س ، ص23.

[2]- محمد أبو ارس الناصر العسكري، الدرة الأنيقة في شرح العقيقة، تح: أحمد أمين د لاي، مركز البحث في الأنثروبولوجية الاجتماعية والثقافية، وهران، الجزائر، دط، 2007، ص أ.

[3]- لمبروك أعمر: الفضاء المديني و أثره في التشكيل السرديرحلة العبدري -أنموذجا-، مذكرة لنيل درجة الماجستير في الأدب المغاربي، (لم تنشر)، جامعة مولود معمري، تيزي وزو،2013، ص29.

- ✓الرحلات الدنيوية المتخيلة ( رحلات الخيال العلمي ).
- ✓الرحلات الصوفية.[1]

وهي تشترك في عنصر الوهم، فهي نتاج نسجه خيال الأديب الرحالة أو ذهنه متخطيا حدود الزمان والمكان، وهي تمزج بين الغنى الثقافي وعمق الدلالات الرمزية التي تؤديها اللغة المشفرة التي تخرج الشخصيات من إطار المألوف، وقد برز من هذه الأشكال الثلاثة في التراث الأدبي العربي اثنان:

- الرحلة الخيالية الأسطورية ومثالها النص العالمي الذي تخطى صيته حدود الأدب العربي رسالة الغفران لأبي العلاء المعري،والتي تقوم على مفارقة الواقع والتحليق في عالم الغيب ويوم الحساب والجنة والنار، حيث هيمن الطابع العجائبي على هذا النص الفريد الثري بالتغييرات الدقيقة التي مست الشخصيات بوتيرة خادمة للأبعاد الدينية والأدبية والفلسفية التي يرمي إليها ..[2]
- الرحلة الصوفية لها مرجعية دينية، تنفرد بمعجم اصطلاحي خاص، ويحوم نصها حول ثنائية الطريق أو السفر ) و ( المسافر أو السالك)، إذ يحتل السفر بؤرة هذا النوع من الرحلات، وهو يتجاوز "الفعل المادي والحركة الجغرافية ويتسامى إلى الفعل القلبي الروحي والذهني والرمزي" في حالة ارتقاء إلى فضاء الظهر بعيدا عن دنس عالم المادة، وقد مثلت هذه الرحلات مادة غنية للتأويل.[3]

في حين فصل لمبروك أعمر في أطروحته الرحلة الأسطورية عن الخيالية، وقسم هذه الأخيرة بدورها إلى قسمين:

---

[1]– مكي سعد الله: م س، ص203

[2]– المرجع نفسه ، ص204.

[3]– المرجع نفسه، ص ص 208،209.

- عمودية: "تشمل رحلات المعارج والجنوح إلى عالم الغيب، فهي تبني تصورا معينا عن الآخر، وهي نتاج صراع الإنسان مع جدلية الحياة والموت تأخذ طابع الحلم، وقد مثل لها برسالة الغفران.[1]
- أفقية: رحلة غرضها معرفي فلسفي.... ترمي إلى إثبات قدرة الإنسان على الارتقاء بالمعرفة من المحسوس إلى المعقول، وقد مثل لها بنص حي بن يقظان لابن طفيل (ت 581هـ).

أما الرحلة الأسطورية فتشكلها مكونات ثقافية وفكرية، لها هالة قدسية بفضل بعدها العقائدي، تخترق المألوف بخوضها في موضوعات الوجود والخلود، وقد مثل لها بنص جلجامش، وهي تشمل قسمين: رحلات النزول إلى العالم السفلي، ورحلات الصعود ذات البعد الواقعي كارتقاء عيسى ابن مريم عليه السلام.[2]

**رابعا: أدب الرحلة جسر بين الحضارات**

يحتل أدب الرحلات مكانة هامة في الإرث السردي العالمي عامة، والعربي خاصة بفضل التناغم بين الجنوح للاكتشاف واختراق الآفاق، وسرد الذات والآخر، والتوازن بين المغامرة الفردية والفضاء الجماعي عبر استحضار تركة التجارب التي يخلفها فعلا لارتحال بعد أن تصير ذكرى، وإعادة نسجها بواسطة فعل الكتابة، وهو يشهد تداخل القيمتين العلمية عبر الثراء والتنوع المعرفي الذي حوته ونضج المنهج العلمي عند الرحالة باعتماد المعاينة والاستقصاء، والاستنتاج....والجمالية عبر القالب الأدبي الذي صيغت في إطاره، دون أن تفقد حس الطرافة والإمتاع الذهني والتشويق النفسي لاستقبال ما في طياتها من عجيب وغريب في الطبيعة وطبائع الناس وعادات الأمم وتقاليدها. ذلك أن الرحلات "منابع ثرة لمختلف العلوم، وهي .... سجل حقيقي لمختلف مظاهر الحياة" في العصر الذي تمت فيه.[3]

---

[1]– لمبروك أعمر: الفضاء المديني و أثره في التشكيل السرديرحلة العبدري –أنموذجا–، م س، ص29

[2]– لمبروك أعمر: الفضاء المديني و أثره في التشكيل السردي رحلة العبدري –أنموذجا–، م س ، ص31.

[3]– حسني محمود حسن، أدب الرحلة عند العرب، دار الأندلس، بيروت، لبنان، ط02، 1983، ص06.

ضف إلى ذلك أن أدب الرحلة – بمستوى الخيال الفني الذي ارتقى إليه قد أفاد أصحابه بالانصراف عن اللهو والعبث اللفظي والتكلف في تزويق العبارة، إيثارا للنضج في التعبير المغمور بغنى التجربة بعيدا عن الإغراق في التنميق ناهيك عن كونه حجة للرد على التهمة التي أدين بها الأدب العربي القديم حول قصوره في فن القصة.[1]

إلى جانب ذلك، استطاع أدب الرحلة أن يشمل طبقات المجتمع وطبقات القول فهو رسمي وشعبي وعلمي وأدبي، وواقعي وأسطوري، فكان بذلك نمطا فريدا من أنماط القول الأدبي تجتمع فيه أساليب الفنون كلها دون أن تخضعه معايير أي منها.[2]

ولئن مثل أدب الرحلة "نقطة بداية تاريخ عدد من مناطق العالم مثل رحلة حانون التي تعد أقدم الوثائق المكتوبة في تاريخ إفريقيا الشمالية"، فقد ساعد أيضا قادة الفتح الإسلامي على نشر الدعوة بإسهامه في معرفة المسلمين طبيعة البلدان وطباع الشعوب الغريبة عنهم، لاتباع الطرق والطرائق الملائمة.[3]

وقد ساهمت الرحلات في التاريخ لأزمات وصراعات هووية شهدتها الإنسانية عبر التاريخ، فصورت الإقصاء الحضاري الذي عانت منه الشعوب المضطهدة والذي شمل الدين والثقافة والمجتمع، يبرز في هذا السياق التراث الرحلي الموريسكي شاهدًا على الذاكرة الجماعية للأقلية المسلمة التي عانت الشتات إثر سقوط الخلافة الإسلامية بالأندلس، في ظل سعي المسيحية لتكتسح ما تعتبره دخيلا، فما كان من المسلمين الذين أجبروا على التنصر أو تظاهروا به إلا أن عملوا على تهجين لغة هي مزيج بين العربية والإسبانية، وأدلجتها لتحتوي تلك التجربة المريرة، ورغم شذوذ لغة الألحميادو عن القواعد، وبقائها على الهامش بسبب عدم تقاسم الموريسكيين نموذجها اللغوي مع غيرهم، إلا أنها ساعدت على

---

[1]– حسني محمود حسن، أدب الرحلة عند العرب، م س، ص ص08، 09.

[2]– لمبروك أعمر: الفضاء المديني و أثره في التشكيل السردي رحلة العبدري –أنموذجا–، م س ، ص09

[3]– إبراهيم القادري بوتشيش، أدب الرحلة والتواصل الحضاري، سلسلة الندوات5، جامعة المولى إسماعيل كلية الآداب والعلوم الانسانية، مكناس، مطبعة فضالة، المغرب، د ط، دت، ص07.

فهم التطور الصوتي والدلالي للغة القشتالية، لقد قدمت رحلات أفوقاي والمكناسي والغزال... صورة عن العزلة الثقافية عاشها الموريسكيون، وشكلت متنفسا من الاحتقان الذي سببه الصراع الحاد.[1]

وتعد الرحلات مرآة للحضارة، ومصدرا معتمدا في الكشف عما عرفه العالم من حضارات قديمة،[2] حتى وإن لابس تلك الصور استيهامات تعدل تفاصيلها حسب توجه الرحالة، فقد أتاحت فرص التأمل في آثار المخلوقات، والاتعاظ من آثار الأمم البائدة، بل ساهمت في حفظ جزء كبير من الإرث الثقافي والفكري للأمة الإسلامية العربية بعد ما أحدثته نوائب الدهر بمكتباتها إثر الحروب المغولية والصليبية، وقد برزت في هذا السياق رحلات أهل المغرب والأندلس، من ثمارها نفح الطيب للمقري (1021هـ)... .[3]

لعل هذه الأدوار التي أدتها نصوص الرحلات هي ما دفع نوري الجراح للاستغراب من التراجع الذي حل بهذا الجنس الأدبي في ثقافتنا العربية لدرجة الاختفاء، إذ يرى أن ذلك" يعكس ضمور الحس المبدع لدى كتابنا في علاقتهم بالمكان، وقعودهم عن طلب معرفة الآخر لاستجلاء عالمه، وهو ما يعد انتكاسة وتقهقرا معرفيين".[4]

فهذا الاستغراب المبطن بالأسف دليل وعي بأهمية النصوص الرحلية وهو الوعي ذاته الذي دفع كراتشكوفسكي عند حديثه عن رحلة البيروني التي عدها ذروة مساره العلمي إلى الإقرار بأنه "مسار يستحق الانحناء في خشوع واحترام"،[5]ودفع محمد بن سعود الحمد للقول

---

[1]– زكريا بن علي و حنفي هلايلي، الموريسكيون: آثارهم الثقافية وإنتاجهم اللغوي في إسبانيا الموريسكية، مجلة الحوار المتوسطي، مخبر البحوث والدراسات الاستشراقية في حضارة المغرب الإسلامي، جامعة الجيلالي ليابس سيدي بلعباس، الجزائر، مج10 ع1، 2019، ص ص13، 14.

[2]– شعيب حليفي، مرجع سابق الذكر، ص57.

[3]– محمد بن سعود الحمد، مرجع سابق الذكر، ص06

[4]– إلياس الموصلي، رحلة الذهب والعاصفة، تح: نوري الجراح، دار السويدي للنشر والتوزيع، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط01، 2001، ص 12.

[5]–كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، م س، ص245.

بأن " التعريف بأدب الرحلة وكتابها وكتبهم فيه شيء من التعويض، وخطوة متواضعة على درب تكريمهم المستحق".[1]

هذا التكريم، في جوهره لا يمثل مجرد تشريف لهؤلاء الرحالة، بل هو إقرار بقيمة مدوناتهم في هذا المجال، وإدراك عميق لحاجتنا الملحة لما حفظته من معارف، كما أنه يعكس مبررا واضحا للاهتمام المتزايد بتحقيق المخطوطات، سعيا لإزالة غبار النسيان عنها واستعادة إرثها الثمين.

[1]– محمد بن سعود الحمد، مرجع سابق الذكر، ص03.

# المحور السابع

# فن الرحلة في الجزائر

**أدب الرحلة في الجزائر:**

لقد شكلت الجزائر إحدى المحطات البارزة والمهمة في أدب الرحلات أسهمت بشكل كبير في هذا النوع من الإنجاز الأدبي الرفيع والمتميز بالمغامرة والمجازفة والمعروف بأدب الرحلات.

عاشت الجزائر خلال العهد العثماني (1518–1830م) تحولات سياسية وثقافية ودينية عميقة جعلت من الرحلة ظاهرة متكررة ومحمّلة بدلالات متعددة، وقد وفّرت العلاقة العضوية التي ربطت الإيالة الجزائرية بالدولة العثمانية الكبرى أُفقًا جغرافيًا مفتوحًا أمام الجزائريين للتنقل داخل الفضاء الإسلامي الرحب، ما ساهم في تطور أدب الرحلة الجزائري، وإن ظل دون المستوى العددي لرحلات المشرقيين[1].

تميزت الجزائر، باعتبارها ولاية عثمانية شبه مستقلة، بدرجة من الاستقرار السياسي الذي ساعد على تبلور نخبة علمية وإدارية انخرطت في شبكات الترحال نحو المشرق والأناضول[2]، كما أنّ ارتباط الجزائر بالحجاز عبر الخط البحري في المتوسط والبحر الأحمر جعل من أداء فريضة الحج أمرا ممكنا ومتاحا، بل وأحيانا مدعوما من الدولة عبر تنظيم قوافل أو تسهيلات خاصة للحجّاج والعلماء[3]، وقد قامت الدولة العثمانية بتأمين الطرق البحرية والبرية، لا سيما عبر موانئ الجزائر وتونس والإسكندرية، ما أسهم في تشجيع الرحلة نحو الديار المقدسة أو مراكز العلم .

[1] - أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي، ج 2، م س، ص 168.

[2] - محمد بن الحفصي: الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني، الجزائر: دار الهدى، 2004م، ص 92.

[3] - نورة بوجلال: رحلات الحج في الجزائر خلال العهد العثماني، دراسة في الدوافع والمسارات"، مجلة الدراسات التاريخية والاجتماعية، عدد 6، جامعة الوادي، 2016، ص 105.

من جانب آخر، ساهمت الزوايا الصوفية التي ازدهرت خلال هذا العهد – كزاوية الشيخ عبد الرحمن الثعالبي في الجزائر العاصمة، وزاوية سيدي محمد بن عبد الرحمن في ندرومة – في تشكيل مراكز انطلاق للرحلات، نظرًا لكونها كانت على اتصال مباشر مع طرق العلم الصوفي في المشرق، خاصة في الحجاز والشام، وهو ما يفسر الطابع الروحي والتصوفي للعديد من الرحلات المدونة في تلك الفترة .

كما كان للمؤسسات العلمية، وخاصة "المدارس القرآنية" و"الجامع الكبير" و"الجامع الجديد"، دور في تحفيز طلبة العلم على ارتياد الآفاق الشرقية لتحصيل المعارف، وتلقي الإجازات من مشايخ الأزهر أو علماء الحرمين، وهو ما يُعرف بـ"طلب العلوّ في السند"، أي الوصول إلى مصادر العلم من جذورها[1]. وقد ارتبط هذا التوجه بطموح رمزي واجتماعي، يتمثل في نيل الاعتراف والوجاهة العلمية داخل المجتمع الجزائري عند العودة، ولم تقتصر الرحلة على الدوافع الدينية والعلمية، بل شملت أبعادًا دبلوماسية وسياسية، إذ كانت الدولة العثمانية في الجزائر ترسل مبعوثين إلى إسطنبول ضمن المهام الإدارية أو لتمثيل الإيالة، وهو ما يبرز بعدًا رسميًا في بعض الرحلات، وإن قلّت كتابتها مقارنة بالرحلات الدينية[2]، ومع ذلك، فإن هذه الرحلات ساعدت على ترسيخ العلاقة الثقافية والسياسية بين الجزائر والمركز العثماني، ما انعكس على استخدام اللغة التركية في بعض الكتابات الرسمية، وعلى التأثر بالعمارة والإدارة العثمانية في الجزائر.

---

[1] - محمد بن شنب: فهرس مخطوطات الجزائر في العهد العثماني، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1983، ص 38.

[2] – عبد الجليل التميمي، الحياة العلمية والثقافية في البلاد المغاربية في العصر العثماني، تونس، مركز التميمي للبحث العلمي، 1990م، ص 114.

إنّ هذه العوامل مجتمعة – دينية، علمية، صوفية، دبلوماسية – شكلت المناخ الثقافي العام الذي نمت فيه ظاهرة الرحلة في الجزائر العثمانية، ووفّرت لها إطارًا تنظيميًا واجتماعيًا جعلها إحدى قنوات التبادل المعرفي والحضاري بين الجزائر وبقية أقطار العالم الإسلامي.

يعد محمد بن عبد الكريم المغيلي رائدا لفن الرحلة بإقليم توات، حيث ارتحل إلى الحج منطلقا من بلاد التكرور، والتقى في طريقه بجلال الدين السيوطي وأجرى معه مناظرات في المنطق والحديث، ومما سلفت الإشارة إليه يتضح لنا أن الرحلات الجزائرية التي برزت في الفترة التي سبقت العثمانيين كانت محدودة جدا، ولكن على الرغم من ذلك لا يمكن تجاهلها.

وأما إذا انتقلنا إلى الحديث عن الرحلات التي ظهرت خلال العهد العثماني فإننا نجدها متنوعة بتنوع الأهداف والمقاصد" عندما زاد على الرحلة الإقبال تنوعت الأغراض وتعددت الموضوعات وتطور هذا الفن كما وكيفا، وأصبح من الأهمية بمكان بحيث لا تكتمل ثقافة الإنسان بدونه، كما أصبح من المصادر التاريخية "[1].

نستشف من خلال هذا أن الرحلات الجزائرية إلي ظهرت في هذه الفترة كانت وثائق تاريخية مهمة في ظل الغياب الصارخ للمدونات التي تخص تاريخ الجزائر في هذه الفترة على وجه الخصوص والتي دامت أكثر من ثلاثة قرون ومن هذا المنطلق يمكن أن نميز نوعين من الرحلات...

لقد أسهم الجزائريون في أدب الرحلة مساهمة واضحة ولاسيما في القرن التاسع عشر وكانت بعض رحلاتهم إلى الحج وبذلك كانت رحلات حجازية، وبعضها كان لطلب العلم، ولعل من أقدم الرحلات التي تنسب ما قبل العهد العثماني هي رحلة التوجاني التلمساني، كما أن أحمد المقري قد ساق في أزهار الرياض، رحلة لجده محمد المقري التلمساني المعروف بأنه أستاذ ابن خلدون، والرحلة في الأدب الجزائري تنقسم إلى قسمين:

[1] – مولاي بلحميسي: الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر، ط 2، ص10 .

– الرحلات الحجازية: وهي الرحلات الأكثر وفرة نسبيا وسبب توجه الجزائريين بكثرة إلى الحجاز كان "عادة نتيجة توق روحي نحو الحرمين وزيارة البقاع التي وطئتها أقدام الرسول صلوات الله عليه وسلم وصحابته، فالحجاز في نظرهم ليست مجرد بقعة جغرافية تزار للسياحة والعلم ونحو ذلك، ولكنها كانت قطعة أرض طاهرة تضم تاريخ الوحي والدعوة والأمة الإسلامية، ولذلك فهم يسجلون عواطفهم المتأججة..."[1].

ومن أبرز الرحالة الذين برزوا في كتابة الرحلات الحجازية، الورتلاني أحمد بن قاسم البوني و ابن عمار...إلخ، أما من ناحيته الصياغة الأدبية فتنقسم إلى قسمين: نثرية وشعرية[2].

أما النوع الثاني من الرحلات هي الرحلة العلمية والمقصود بها " تلك الرحلات التي قام بها أصحابها بغرض طلب العلم والزيارة والاطلاع على البلدان عموما والأخذ من علمائها وممارسة التجارة فيها أحيانا"[3]، ومن أشهر الرحالة في هذا المجال عاشور بن مصطفى القسنطيني وعبد الرزاق بن حمادوش ومحمد الزّجاي وابن الدين الأغواط...إلخ.

أما في العهد الاستعماري فقد وظف المستعمر الغاشم الرحلة لتحسين صورته وتحقيق أغراضه الاستعمارية، وتتضمن رحلتان اتجه صاحباها من الجزائر إلى باريس وهي رحلة ابن صيام ورحلة ولد قادي، أما في القرن العشرين فقد نمت الرحلة وتطورت وانفتحت على الخارج أيضا بوجه سياسي نضالي، وقد فرض على الرحالة الدخول في معركة في معركة ذات جبهات مختلفة أولهما مع المستعمر وثانيهما مع مظاهر التخلف والأمية والفقر.

لم تعد الرحلة أدب نزهات خالصة ولا معلومات تاريخية بحتة بل غدت ضربا من النضال السياسي والاجتماعي والثقافي لتغيير الواقع والتعريف بحق الوطن والمواطن في الأمن والحرية والاستقلال ونذر منها رحلات محمد البشير الإبراهيمي.....

[1] – أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، ص 387.

[2] – المصدر نفسه : ص 387.

[3] – المصدر نفسه : ص 383.

# المحور الثامن

# أعلام فن الرحلة في الجزائر

**أعلام فن الرحلة في الجزائر:**

إن لأدب الرحلات أهمية كبيرة فهو يعد من أرقى النماذج التي تعمل على الوصف الفني الحي المتميز بشيء لم نزل نفتقده في أدبنا وهو الانصراف والابتعاد عن " اللهو والعبث اللفظي والطلاء السطحي، والإيثار لتعبير السهل المستقيم الناضج بغنى التجربة وصدق اللهجة الشخصية، مما لا نجده متوافرا عند البلغاء والأدباء المحترفين ونجده بقوة عند العلماء والفقهاء والمؤرخين وهؤلاء الكتاب الرحالين"[1].

من أشهر الرحالة الذين برزوا في كتابة الرحلات العلمية والحجازية، الفضيل الورتلاني وأحمد بن عمار وابن عمار وعبد الرزاق بن حمادوش ومحمد الزّجاي ومحمد بوراس المعسكري وابن الدين الأغواطي وأحمد بن هطال التلمساني ومحمد بن رحال...إلخ.

- **الفضيل الورتلاني:**

ولد الأستاذ الجليل المرحوم السيد/ حسنين الفضيل بن محمد السعيد بن فضيل المعروف باسم (الشيخ الجليل الورتلاني) في 06 فيفري عام 1900 م بقرية (آنو) بلدية بني ورتلان دائرة بني ورتلان ولاية سطيف، وينحدر من أسرة عريقة تنتمي إلى سلالة الأشراف، ولقبه العائلي (حسنين)، وقد نشأ وترعرع في مسقط رأسه، وبه حفظ القرآن الكريم، وزاول دراسته الإبتدائية بالقرية المذكورة، وتلقى فيها مبادئ العلوم على مشايخ القرية الذين نذكر منهم على سبيل المثال العلامة الفقيه المعروف الشيخ السعيد البهلولي وغيره، كما تلقى منذ طفولته المبكرة في أحضان أسرته تربية إسلامية أورثته الحفاظ على تعاليم الدين الحنيف والتشبث بأهدافه، ونشأ على احترام مكارم الأخلاق والمثل العليا، والقيم الرفيعة، وجده الأعلى أي (جد والده) المباشر لأبيه هو العلامة الرحالة سيدي الحسين الورتلاني صاحب الرحلة المعروفة باسم (رحلة الورتلاني) "[2].

---

[1] – أبوالقاسم سعد الله : أدب الرحلات وتطوره في الأدب العربي، ص ص5 ،6 .

[2] – الفضيل الورتلاني. الجزائر الثائرة، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2009، ص 37.

" فلما بلغ سن العشرين، جند للخدمة العسكرية الإجبارية فكانت المدة التي قضاها في الجيش الفرنسي فرصة له لإثراء تجاربه في الحياة واكتشاف ما كان يعانيه أبناء وطنه من تمييز واحتقار من طرف المستعمرين الفرنسيين "[1]. ثم في سنة 1928 م التحق بسلك المتعلمين في قسنطينة وزاول تعليمه الثانوي على يد الشيخ العلامة عبد الحميد بن باديس، ثم اختاره ابن باديس في محاربة الضلال وفي عام 1934 م أنهى الدروس المقررة للطلاب بتفوق فسافر إلى تونس وواصل دراسته بجامع الزيتونة ثم عاد إلى شيخه: " أنني لم أجد عند غيرك ما يرغبني في التتلمذ عليه"[2].

" شاء القدر بعد عمر حافل بجلائل الأعمال أن تكون النهاية في أنقرة يوم 19 مارس 1959 م وفي سنة 1987 م نقل رفاه الأستاذ الفضيل من أنقرة إلى مسقط رأسه ببني ورتلان بالجزائر، وكان يوما مشهودا ووقف الناس حول نعشه ووجوههم إلى الأرض وأفكارهم إلى الوراء يستعيدون تاريخ هذا الرجل "[3].

ترك الفضيل الورتلاني بعد موته الكثير من المقالات السياسية والفكرية في العديد من صحف المشرق كجريدة البصائر والصحف المصرية (منبر الشرق، الدعوة، الإخوان المسمون، مصر الفتاة، الكتلة، المصري) والصحف التونسية (الصباح)، واللبنانية (بيروت المساء، الأنباء) وحتى الصحف السورية (مجلة المنار) فتميزت هذه المقالات بجمال التعبير والدقة.

[1] –الفضيل الورتلاني. الجزائر الثائرة. عين مليلة – الجزائر: دار الهدى، 2009، ص 37.

[2] – المرجع نفسه : ص37.

[3] – المرجع نفسه : ص37.

– **عبد الرزاق بن حمادوش:** ولد بمدينة الجزائر سنة 1107هـ، وتوفي في التسعين من عمره في مكان وتاريخ مجهولين، درس العلوم الشرعية واللغوية واتجه إلى العلوم الرياضية والطبية[1].

وإذا كان ابن حمادوش لم يرق إلى مستوى بعض معاصريه من العلماء، نظرا لبساطة أسلوبه واهتماماته العلمية، فإن الكثير من تآليفه كانت متداولة حتى خارج الجزائر كمؤلفه المشهور" الجوهر المكنون في بحر القانون" إلا أن أهم ما ميز ابن حمادوش من الناحية التاريخية رحلته المعروفة برحلة ابن حمادوش أو" لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال" [2] .

وموضوع "رحلة " ابن حمادوش" عبارة عن سجل شخصي ضمنه أخباره الخاصة إبان رحلته إلى المغرب قصد التجارة والعلم، والباقي عبارة عن أسانيده العلمية والإجازات المختلفة التي حصل عليها من المغرب أو من جهات أخرى، كما أورد نماذج متعددة لعقود الزواج بعضها محلي والبعض الآخر لأسر من أصل أندلسي وكعادة هذا النوع من التآليف، أورد ابن حمادوش أخبارا من التواريخ العامة والإسلامية جملة.

– **بوراس المعسكري:**

ولد بنواحي مدينة معسكر عام 1165هـ وتوفي عام 1238هـ، واسمه الكامل محمد أبو راس بن أحمد بن الناصر الجليلي الراشدي علامة ومحقق في العلوم الإسلامية[3]، عرف هذا الرحالة الرحلة منذ الصغر وتنقل بين عدة مدن في الغرب الجزائري وأنجز رحلتين إلى الحجاز بغرض أداء مناسك الحج، كما زار من خلال هذين الرحلتين الشام وفلسطين ومصر وذاع صيته في هذه البلدان لعلمه الواسع وكثرة حفظه حتى لقب في مصر بشيخ الإسلام وصار عند محبوبا عند المصريين.

**ابن الدين الأغواطي:**

[1] – نورة رحموني و سعاد شابي: الرحلة والرحالة في الأدب الجزائري،مجلة رفوف، العدد2، المجلد 7، جامعة.... الجزائر، جوان 2019م، ص 137.

[2] – صلاح الدين الشامي: الرحلة العربية في المحيط الهندي،مجلة العالم الفكري، العدد 4، دمشق، جانفي 1983م، ص12.

[3] – أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي، م س ص 377.

تعد رحلة ابن الدين الأغواطي الأصلية مفقودة، أما نصها فقد قام أبو القاسم سعد الله بترجمته ونشرها في كتابه آراء وأبحاث في تاريخ الجزائر، مثبت الرحلة بالعربية في حدود(1826.1829) بناءا على طلب ويليام هيتسون مساعد القنصل الأمريكي في الجزائر في الفترة(1825.1829)، مقابل مبلغ مالي، فأنجز ابن الدين عمله هذا وقبض الثمن من هوتسي ذي النزعة الاستشراقية الحريص على جمع معلومات جغرافية وتاريخية ولغوية، خصوصا على البربرية. ترجمت هذه الرحلة إلى الانجليزية، وقد بقي النص العربي مجهولا، وهو ما جعل الرحالة أبو القاسم سعد الله على إعادة النص إلى العربية.

وتكمن أهمية رحلة ابن الدين في الجمع بين أخبار الصحراء سكانا ومساكنا، وكذا التطرق لعادات وتقاليد قومها، وقد عدد كثيرا من القرى والمدن التي زارها منها عمور متليلي، وادي ميزاب، المنيعة، ورقلة، تيميمون، تقرت، عين صالح وغيرها من المدن داخل الوطن وخارجه، فجمعت الرحلة في مسارها بين الداخل والخارج، وقد حاول أن يعين مسالك، ويوضح معالم، ويحدد مسافات بين مناطق ومدن. ويجلي طبيعة هذه الجغرافيا،وهندسة الماء، ونضام حكم وتقاليد اجتماعية وغيرها، فعطست بذلك الرحلة كثيرا من الأوضاع المختلفة، التاريخية والجغرافية والسياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية. إنها رحلة برية استطلاعية غلب عليها الجانب الجغرافي التاريخي عن مواقع مدن، وأحوال ناس، لغة وعادات وتقاليد، وأزياء وفلكلور وغيرها.

ومنه نستنتج أن أدب الرحلة الجزائري يحمل قيما علمية وثقافية ذات شأن عظيم فهو من أهم المصادر التي تحافظ على التراث الأدبي من الضياع، كما قد يتضمن أدب الرحلة نصوصا لا توجد في مصادر أخرى، لذلك فهو يشكل خيطا ساطعا من الألوان المفعمة بالثقافات المختلفة من خلال المؤلفات التي حفظ لنا جانبا عظيما من التاريخ، إذا أودعت تلك الكتب الكثير مما شاهدوه مؤلفوها، من أحوال الشعوب والدول مما ساهمت الرحلة في توطيد الصلات والعلاقات[1].

[1] – العيفة خطوي: أدب الرحلة في التراث الجزائري مجلة بدايات العدد1 المجلد5 جامعة عمار ثليجي الأغواط، الجزائر جانفي 2023 ، ص125.

ثم رحل إلى مكة المكرمة والتقى بمفتي المالكية الحسين المغربي الذي جالسه طويلا[1] وتحدث عن مكة قائلا عنها ذات المكارم والعلا التي لا بغيرها تقاس لأنها أول بيت وضع للناس درة السالك النضيد وبيت المعاني إليه القصيد[2].

[1] – الحفناوي: تعريف الخلف برجال السلف، ج2 / ص ص167، 168

[2] – فتح الإله ومنته: تحقيق محمد بن عبد الكريم، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1990م، ص179.

# المحور التاسع

# خصوصياته الفنية

**- مفهوم أدب الرحلة وخصوصياته الفنية:**

**أ- تعريف الرحلة في اللغة والاصطلاح:**

**لغة:**

الرحلة من الفعل "رحل، ارتحل البعير رحلة، سار فمضى، ثم جرى ذلك في المنطق حتى قيل ارتحل القوم عن المكان ارتحالا ورحل من المكان يرحل وهو راحل من قوم رحّل والترحّل والارتحال الانتقال وهو الرحلة والرحلة اسم للارتحال للمسير"[1] .

وفي القاموس المحيط للفيروز آبادي " ارتحل البعير: سار ومضى ، والقوم ارتحلوا عن المكان:انتقلوا كترحلوا، والاسم:الرحلة والرحلة بالضم والكسر، أو بالكسر:الارتحال: وبالضم: الوجه الذي تقصد، والسفرة الواحدة "[2].

جاء في معجم المصطلحات الأدبية " أنه مجموعة الآثار التي تتناول انطباعات المؤلف عن رحلاته في بلاد مختلفة وقد يتعرض فيها لوصف ما يراه من عادات وسلوك وأخلاق وتسجيل دقيق للمناظر الطبيعية التي يشاهدها، أو يسرد مراحل رحلته مرحلة مرحلة أو يجمع بين كل هذا في آن واحد"[3].

نلاحظ من خلال التعاريف اللغوية أن الرحلة هي انتقال يقوم به الرحالة من مكان إلى مكان آخر وفق زمن محدد وغرض معين.

**اصطلاحا:** أما من **حيث المعنى الاصطلاحي** فأدب الرحلة:" فن من الفنون القديمة التي شاعت عن العرب قديما، وهو فن له خصائصه المعينة، فهذا الفن يقوم بالحديث عن الأمم والبلدان والمجتمعات التي يمرّ بها الرحالة في قالب قصصي."[4] .

---

[1] - ابن منظور: لسان العرب المحيط، مادة (ر، ح، ل)، إعداد يوسف خياط، دار لسان العرب، بيروت، لبنان ، المجلد3، ص 1142.

[2] - الفيروزآبادي: القاموس المحيط، مادة (ر، ح، ل)، تحقيق مكتب تحقيق التراث بإشراف محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة بيروت، لبنان، ط8، 1426هـ/2005م ، ص383.

[3] - مجدي وهبة كامل المهندس: معجم المصطلحات العربية، مكتبة لبنان، ساحة رياض الصلح، بيروت، لبنان، ط2، 1984م، ص17.

[4] - عبد الله ركيبي : تطور النثر الجزائري الحديث (1830- 1962)، م س، ص48.

ويؤكد أغلب الدارسين على انتساب أدب الرحلات إلى حقل السرد باعتباره " كتابة أدبية تتوافر على مكونات سردية، وآليات كتابية تسمح للتصنيف أن يأخذ مشروعيته في خانة الأدبي"[1] وبالتالي يعد السرد السمة البارزة في أدب الرحلة، لأن الرحالة بصدد الإخبار عما صادفه من أمور وأحداث أثناء انتقاله، كما أن المشاهد القصصية تكون حاضرة من بداية الرحلة إلى نهايتها.

ويعرف مجدي وهبة أدب الرحلة بقوله:" مجموعة الآثار الأدبية التي تتناول انطباعات المؤلف عن رحلاته في بلاد مختلفة، وقد يتعرض فيها لوصف ما يراه من عادات وسلوك وأخلاق، ولتسجيل دقيق للمناظر الطبيعية التي يشاهدها، أو يسرد مراحل رحلته مرحلة مرحلة، ويجمع بين كل هذا في آن واحد "[2].

وفي الحقيقة أن هذا الفن موغل في القدم، فقد عرفته قبل العرب أمم أخرى كالفينيقيين والفراعنة والرومان والإغريق، ثم جاء من بعدهم الرّحالة العرب، ومن أشهر هؤلاء ابن جبير وابن بطوطة وغيرهم كثير، الذين نقلوا إلينا ما كان يضطرب في العصور السابقة وعليه حضي هؤلاء الرحالة بالإشادة من طرف العديد من الباحثين الأجانب الذين اعترفوا لهم بقيمة رحلاتهم سواء من حيث مادتها أم من حيث أسلوبها أم من ناحية طريقة عرضها[3] [8] .

**2- خصوصياته الفنية:**

لقد درج الكتاب العرب على استخدام عبارة " أدب الرحلات" للإشارة إلى كتابات الرحالة المسلمين وغيرهم التي يصفون فيها البلدان والأقوام، والتي يذكرون فيها أيضا أحداث تجوالهم، ودوافع رحلاتهم وما قد يصاحب ذلك من بلورة لانطباعات شخصية، أو إصدار أحكام تقويمية لما شاهدوه أو سمعوه، و نظرا لارتقاء الوصف في كثير من أعمال الرحالة وبلوغه حدا كبيرا من الدقة، علاوة على عملية الأسلوب القصصي السلس والمشرق، أدخلت

---

[1] - شعيب حليفي: الرحلة في الأدب العربي"التجنيس، آليات الكتابة، خطاب متخيل"، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 2006، ص40.

[2] – يوسف وغليسي: في ضلال النصوص، تأملات نقدية في كتابات جزائرية، جسور للنشر والتوزيع،المحمدية، الجزائر، ط1، 2009، ص277.

[3] – عبد الله ركيبي : تطور النثر الجزائري الحديث (1830– 1962)، م س، ص 48 .

متعة ذهنية كبرى، ومع أن مادة الرحلات، كما يرى الكاتب حسني حسين قد لا ترتقي إلى مستوى الفن القائم بذاته كفن القصة أو الشعر أو المسرحية، أو المقالة الأدبية مثلا ، إلا أنه في أدب الرحلات تجتمع أساليب هذه الفنون و موضوعاتها كلها دون أن تضبطه معاييرها، أو أن يخضع لمقاييسها.

أصبح لزاما علينا الاشتغال على أدبية الرحلة ذاتها فلم يعد الأمر كافيا و هو أمر لا يخلو من أهمية أدبية وتاريخية أن تتحدث عن موضوعاتها ، ولا عن كمها الكبير في الأدب العربي، بل أصبح الحديث عن هذين الجانبين ضرورة لمعالجة أدبية هذا المتن في خصوصيته السردية، وتقاطعه مع أنماط السرد الأخرى الموازية لوجوده النص"[9]، مما جعل النص الرحلي " نصا معقدا أعي الدارسين والمنظرين وهم يحاولون تصنيفه ضمن خانة أجناسية محددة، فضمير المتكلم المهيمن على الفعل السردي و تطابق المؤلف والسارد والشخصية تمنح الرحلة مميزات تجعلها قريبة من السيرة الذاتية دون أن يجرؤ أحد على وضعها في هذه الخانة أو التواريخ الدقيقة التي تصاحب الأحداث و الوقائع في غالبها تحيل على طبيعة المذكرات أو اليوميات غير أن القراءة المتأنية تجعل الدارس مترددا في وضعها هناك فارتباطها بالسفر ومتابعة وقائع الرحلة ومشاهداتها منحت الرحلة ملامح خاصة على مستوى تجلياتها الخطابية، وكانت نصا مفتوحا يستوعب كل ما يدور في ذاكرة السارد الرحالة.

وسعيا منا لتوضيح ملامح الأدبية في هذا الفن نجد أن خطاب الرحلة يقوم على ثلاث بنى أساسية هي بنية السفر، السرد بضمير المتكلم، الوصف.

– هيمنة بنية السفر: في هذا الصدد يبين عبد الرحيم مؤدن أن محكي السفر لا ينفصل عن باقي مكونات الرحلة من فضاء وشخصية وصيغ سردية، وتميز الرحلة عن نصوص أخرى، استندت بدورها إلى السفر، يتجسد في تحويل هذه المكونات إلى خصائص مميزة لنص الرحلة عن غيره مما جعل من نص الرحلة جنسا أدبيا قائما بذاته.[10]

–السرد بضمير المتكلم: أن الراوي في الرحلة هو المؤلف ذاته وهذه إحدى خصائص الكتابة الرحلية وهذا الراوي يكون حاكيا وموضوعا للحكي، فهو يكون حاكيا عندما يصف ويكون موضوعا للحكي عندما يسرد، وبهذا يقدم الراوي معرفة موضوعة أثناء الوصف كما يقدم تجربة ذاتية أثناء السرد .

الوصف: يعد الوصف مكونا هاما من مكونات الخطاب السردي، فهو أداته الأساسية وعنصرا مكملا لوظيفته الحكائية، فكل عمل سردي يشمل على صور" من الحركات والأحداث، وهذه الصور هي التي تشكل السرد بمفهومه الدقيق كما أن كل عمل سردي يشتمل على صور من الأشياء والشخصيات وهي التي تمثل في العهد الراهن ما يطلق عليه الوصف" [11] .

يتضح مما سبق أن الرحلة تعد خطابا من الخطابات المتعالية التي لا تندرج تحت أي نوع من الأنواع الأدبية، وإنما يمكن اعتبارها نوعا أدبيا جامعا لكل الفنون الأدبية وبالتالي فأدب الرحلة يكتسي تميزه من خلال انفتاحه على كل الفنون ولكنه يتجاوزها ، فهو يتحرك عبرها ويتماهى معها إلا أن يظل دائما محافظا على تميزه.

لقد أبدى الرحالة العرب على مر العصور اهتماما كبيرا بالرحلة منذ القديم ، فقد كانت من أفضل وأمتع الفنون لديهم وأقربها إلى أنفسهم وذلك لما تحويه تلك الرحلات من لغة راقية وطرائف جميلة ومواقف غريبة ومشاهد تدعو للدهشة ، حيث يكشف فيها الرحالة عن ثقافات البلدان التي زارها.

# المحور العاشر

# موضوعات فن الرحلة في الجزائر

**موضوعات فن الرحلة :**

أما عن أدب الرحلات في الجزائر فيرى أبو القاسم سعد الله أن الجزائريين قد ساهموا بمساهمات واضحة وهامة في كتابة الرحلات، وبالأخص خلال القرن الثامن عشر (ق18م) وكانت هذه الرحلات نتيجة للحج وبذلك تكون رحلات حجازية، وبعضها نتيجة لطلب العلم وبذلك تكون رحلات علمية[1]، من خلال هذا نرى أن الرحلة كانت لغرضين إما من أجل العلم أو الحج، وعليه يمكن أن نقسم الرحلات إلى رحلات حجازية ورحلات علمية.

بعد أن كان اتجاه الرحلة داخل الجزائر أو داخل البلاد العربية مثل المغرب وسوريا الحجاز...عرفت الرحلة مع الاحتلال الفرنسي اتجاها آخر وهو أوروبا وبالتحديد فرنسا[2].

بذلك عرفت بلاد الجزائر رحلات جديدة نحو فرنسا قوامها في الأغلب خدمة المصالح الفرنسية، إلا أن هذه الرحلات الخادمة للمصالح الفرنسية لم تكن مقتصرة على الرحلات التي كانت باتجاه فرنسا، حتى الرحلات التي كانت باتجاه الداخل أو الخارج (الوطن العربي)

أصبحت تخدم المصالح الفرنسية ، وعليه فالرحلات التي تقوم على خدمة السلطات الاستعمارية تنقسم إلى قسمين.(*1)

1-رحلات سياسية (منبهرة بالآخر): تتمثل في أغلب الرحلات التي كانت باتجاه فرنسا.

2- رحلات استكشافية استطلاعية: وهذه الرحلات كانت باتجاهين داخل الوطن وخارجه (الوطن العربي).

---

[1] – أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، ص 381.

[2] – المصدر نفسه : ج7، ص 459.

(*1) – نشير هنا إلى نقطة وهي أن أبا القاسم سعد الله لم يذكر هذين التسميتين (السياسية والاستكشافية الاستطلاعية) وإنما استخلصتاها من خلال قراءتنا ودراستنا للرحلات التي أوردها في كتابه.

1-الرحلات السياسية (المنبهرة بالآخر): وهي الرحلات التي تتم على نفقات الإدارة الفرنسية ، ويذكر أبو القاسم سعد الله في هذا الصدد أربع رحلات(2*) وكلها كانت ذا وجهة واحدة وهي فرنسا.

– لقد عملت السلطات الفرنسية على تشجيع هذا النوع من الرحلات في إطار خطة مدروسة، تسعى من ورائها إلى إقناع الشعب الجزائري بضرورة الاستسلام لفرنسا والتمسك بها، ومحاولة تمكين السياسة الفرنسية في الجزائر، والرحلات الأولى من القرن التاسع عشر كانت سندا لفرنسا حيث صورت هذه الأخيرة خيرا ونعيما[1]، ومن الرحلات التي يذكرها أبو القاسم سعد الله هي:

1– **رحلة ابن صيام إلى فرنسا عام 1852م:** وصاحبها سليمان بن صيام والذي استغرقت رحلته شهرا من 25 أفريل إلى 25 ماي (سنة 1952)، وكانت الرحلة تضمه هو ومجموعة من الأعيان، وهؤلاء لم يسافروا من تلقاء أنفسهم وإنما كانوا مأمورين من طرف الحاكم العام المارشال راندون، الذي أمرهم بالتوجه نحو العاصمة الفرنسية لحضور توزيع الأولوية على الجنود وكبار الجيش الفرنسي تحت إشراف نابليون الثالث.

وصف ابن صيام في رحلته الحفلات التي حضروها والمآدب التي أقيمت على شرفهم وما شاهدوه من مخترعات جانب المدينة الفرنسية والشخصيات التي قابلتهم[2].

(*1) – يذكر أبو القاسم سعد الله أربع رحلات فقط التي كانت باتجاه فرنسا (وهي الرحلات التي استخلصنا منها أنها خادمة للمصالح الفرنسية) إلا أن هناك رحلات أخرى كانت باتجاه فرنسا ولكن كانت خارجة عن إدارة الاحتلال وهي رحلة محمد بن العابد الجيلالي (1936) وعبد الحميد بن باديس (1936) ومحمد بوزوزو (1847) أنظر: عمر بن قينة: اتجاهات الرحالين الجزائريين في الرحلة العربية الحديثة، ديوان المطبوعات الجامعية بن عكنون الجزائر (د.ط)، (د.ت)، ص ص254-269

[1] – عمر بن قينة : اتجاهات الرحالين الجزائريين في الرحلة العربية الحديثة، مرجع سابق، ص 245.

[2] – أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي، ج 7، ص 475.

من خلال ما قدمه أبو القاسم سعد الله حول الرحلة نجد أن ابن صيام قد تأثر تأثرا شديدا بما شاهد في فرنسا من مظاهر حفاوة الاستقبال والمآدب التي أعدت لهم، إضافة إلى انبهاره بالمخترعات الفرنسية التي رأى على أنها عجائب.

**2-رحلة ابن الشريف إلى فرنسا:** وجرت هذه الرحلة عام 1852م أي في التاريخ نفسه التي جرت فيه الرحلة السابقة علما أن الرجلان (ابن صيام وابن علي الشريف) قد ترافقا لنفس الغرض.

تضمنت رحلته وصفا للمخترعات والتقاليد الفرنسية ، كما تحدث عن لقاءاته مع الأعيان الفرنسيين وعلى رأسهم نابليون الثالث، وقد كتب رحلته هذه بعد رجوعه من فرنسا ثم قام بنشرها مسلسلة في جريدة المبشر ثم في كتاب بعد ذلك، وضمن رحلته نشر أفكار حول التعليم والحضارة وواجب الجزائريين...كما تحدث عن الأمن والهدوء اللذان ساد الجزائر في العهد الفرنسي ولكن لم يحدث ذلك في العهد العثماني، كما أشاد ابن الشريف باللغة الفرنسية وضرورة تعلمها، كما كانت له فرصة في المقارنة بين الجزائريين والفرنسيين فقد رأى أن الشعب الجزائري كسول متخلف في مقابل الفرنسي النشيط والمتحضر[1].

نرى أن رحلة ابن الشريف لا تختلف عن الرحلة الصيامية فكلا الرحلتين تتفقان في روح المجاملة للإدارة الفرنسية وبلاد فرنسا، والشيء الغريب في الرحلة الثانية أنها تحدثت عن أشياء متناقضة مع الواقع المعيشي آنذاك خاصة حين رأى الأمن والهدوء سادا الجزائر أثناء العهد الفرنسي.

أما الرحلة التي أتت بعد الرحلتين السابقتين هي:

-الرحلة القادية في مدح فرنسا وتبصير البادية، تأليف أحمد ولد قادي (قاضي)، رحلة حصلت سنة "1878" حين توجه مؤلفها رفقة بعض زملائه من أعيان البلاد لحضور

[1] – أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي، ج 7: ص ص 476، 477.

المعرض الدولي في فرنسا، وقد نشرت تباعا في المبشر ثم نشرت في كتاب صغير بعد ذلك.

-أظهرت هذه الرحلة مدى تأثر ولد قادي بما شاهد في فرنسا من تقدم وما عاشه قومه من معاناة وقد اغتنم فرصة وجوده بفرنسا وطالب برفع بعض المظالم عن مواطنيه وتطبيق بعض الإصلاحات وعنوان الرحلة يقرأ تبصير البادية أحيانا وتبشيرها أحيانا أخرى[1].

والرحلة الرابعة هي رحلة الرؤساء العرب: مؤلفها محمد الفكون تصف الرحلة وفد جزائري من الأعيان توجه إلى فرنسا سنة 1902 بمناسبة استعراض جرى في فرنسا، وقد نشرت الرحلة مع الترجمة الفرنسية في حجم صغير[2].(2)

**2- الرحلات الاستكشافية الاستطلاعية:**

تنقسم هذه الرحلات حسب -أبو القاسم سعد الله- إلى قسمين سواء من حيث اللغة التي كتبت بها أم من ناحية الاتجاه، وعليه هناك رحلات مكتوبة باللغة الفرنسية واتجاههما على نوعين داخل الوطن وخارجه ،وهناك رحلات مكتوبة باللغة العربية وهي رحلات في الغالب خارج الوطن.

**1-الرحلات المكتوبة باللغة الفرنسية:** يذكر أبو القاسم في هذا النوع ثلاث رحلات رحلة اتجاه الوطن ورحلتين نحو الخارج وهي:

أ-**الرحلة إلى غات لإسماعيل بوضربة:** هذه الرحلة كلفه بها الحاكم العام "راندون" مابين (1858- 1859) لأجل اكتشاف المنطقة الواقعة بين ورقلة وغات[3]، أثناء رحلته غامر بوضربة إلى أن وصل إلى غات عبر مراحل صحراوية وأخطار عمل على ذكرها في رحلته:

[1] - أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي، ج7، ص 459.

[2] - المصدر نفسه : ص 478.

[3] - أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي، ج7، ص 462.

-نشرت وقائع رحلته سنة 1859، وقد كانت تمهيدا لرحلة "هنري دوفريه" في الصحراء عام (1859-1861)[1].

**ب- الرحلة الثانية هي رحلة الجباري إلى إفريقية:**وقد نشرت هذه الرحلة بعنوان "الناجحون من بعثة فلاترز" سنة 1895 ومؤلفها هو "مسعود الجباري" الذي كان من المترجمين الفرنسيين وذهب إلى إفريقيه مبعوثا من السلطات الفرنسية من أجل تتبع آثار بعثة الضابط فلا ترز التي هلكت في الصحراء[2].

والنتيجة التي يمكن الوصول إليها من خلال هذين الرحلتين ، أن الرحالتين الجزائيين قد غامرا بنفسيهما وتحملا الكثير من المشاق والصعوبات من خلال قطع مسافات طويلة في صحراء مليئة بالمخاطر، ولكن على الرغم من ذلك نجدهما على استعداد لتلك المخاطر لأجل اكتشاف المناطق المجهولة وإشباع رغبات المستعمر في المعلومات التي يبحث عنها.

أما الرحلة الثالثة التي يذكرها أبو القاسم سعد الله باللغة الفرنسية فكانت باتجاه المغرب وهي:

ب- رحلة المغرب سنة 1899 كتبها إسماعيل حامد المزدوج اللغة وهي بالفرنسية وعنوانها " خمسة أشهر بالمغرب" وكان ذلك عشية اهتمام فرنسا بأحوال المغرب تمهيدا لابتلاعه. ولاشك أن حامد قد توجه إلى المغرب في إطار البعثات الفرنسية التي كانت تتوالى والغريب أنه قد اقترح على الفرنسيين احتلال المغرب.

بدأ رحلته بوصف مدينة وجدة والجالية الجزائرية هناك، والوضع الاجتماعي السياسي واللغوي والاقتصادي[3].

نلاحظ أن السلطات الفرنسية استعملت الرحالة الجزائريين كجواسيس وعيون لنقل أخبار المناطق التي زاروها- سواء كانت هذه المناطق داخل الوطن أم خارجه ( خاصة

[1] - المصدر نفسه : ص ص 461، 462.

[2] - المصدر نفسه : ص 462.

[3] - أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي،ج7، ص467.

الوطن العربي )، كما أن الرحالة الجزائريين حاولوا كتابة رحلاتهم بلغة المستعمر في فترة مبكرة من الاحتلال فالرحلة الأولى المكتوبة باللغة الفرنسية لإسماعيل بوضربة كانت بعد ثمانية وعشرين سنة بعد الاحتلال، وهذا إن دل إنما يدل على مدى إخلاص هؤلاء الرحالة للاستعمار الفرنسي.

2-**الرحلات المكتوبة باللغة العربية:** يذكر أبو القاسم سعد الله رحلتين هما:

أ-**رحلة القايد بن الشريف:** وهي رحلة حجازية بعنوان (في الأماكن المقدسة) ولم يذكر معها اسم المؤلف بالتفصيل وإنما جاء فيها اسم سي أحمد بن الصادق.

وصف ابن الشريف في رحلته إجراءات الحج وحماس الحجاج وشوقهم الكبير للأماكن المقدسة كما قام بوصف سلوكيات الحجاج وكيف يستقبلهم الناس بعد الحج، كما يصف الأحوال السيئة التي كان عليها مهاجرو المغرب العربي في الحجاز.

من خلال ما قدمه أبو القاسم سعد الله حول الرحلة، نرى أنها تقوم على نقد أوضاع الحجاج في الحجاز، كما يتضح لنا من خلال عبارة" كانت (الرحلة) تخدم المصالح الفرنسية على الأقل أو تسير في هذا الاتجاه..." على أن الرحالة عميل من عملاء السلطات الاستعمارية.

ب- رحلة مصطفى بونمان:[*1] كانت رحلته باتجاه الصحراء حيث وصل إلى منطقة غدامس[*2] وعبر فيها الهقار، وما يثبت أن الرحلة كانت تخدم المصالح الفرنسية من خلال ما ذكره المؤلف عندما كان بونمان على وشك الوصول إلى بر العبيد -السودان- قام

(*1) - لا يحدد لنا أبو القاسم سعد الله اللغة التي كتبت بها هذه الرحلة ، كما أنه يشير إلى أنه لا يدري متى نشرت ولا أين نشرت ، إلا أنه يصنفها ضمن الرحلات المكتوبة باللغة العربية. انظر أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي ، ج7 ص 462.

(*2) - غدامس: هي منطقة تقع في الضفة الليبية المقابلة لمدينة إليزي الجزائرية.

الفرنسيون الذين كانوا برفقته بأن حددوا له المكان الذي لا يتجاوزه، كما يعلن كاتب الرحلة على خدمته للمصالح الفرنسية والعسكرية والمدنية.[1]

– من خلال ما سبق نخلص أن الاستعمار الفرنسي كان له الأثر الواضح على أدب الرحلة في الجزائر من عدة نواحي سواء ما تعلق باللغة أم الاتجاه أم الهدف... .

كما لاحظنا أن أغلب الرحلات التي كتبت باللغة العربية أو باللغة الفرنسية وعلى اختلاف اتجاهاتها كانت تقوم على هدف واحد وهو خدمة المصالح الفرنسية.

قبل أن نلخص خصائص الرحلة أثناء الاحتلال الفرنسي نحاول الإشارة إلى نقطة مهمة وهي أن الرحلة قبل الاحتلال كانت في أغلبها نحو البلدان العربية لأغراض وغايات مختلفة منها ما كان بغرض العلم أو الحج أو التجارة أما الرحلات إلى البلاد غير إسلامية فكانت قليلة ومحددة الأهداف ولكن بعد الاحتلال الفرنسي عرفت الرحلة انتشارا وشيوعا نحو بلاد أوروبا وبالأخص فرنسا.

– نحاول استخلاص أهم الخصائص التي تميزت بها الرحلة أثناء الاستعمار الفرنسي (مظاهر التأثير).

– أغلب الرحالين الجزائريين كانوا يرتحلون لأجل تحقيق أهداف ورغبات السلطات الاستعمارية.

– أصبح نص الرحلة إما إشادة بمظاهر التطور والازدهار لبلاد المحتل وإما استكشافا واستطلاعا للمناطق التي يجهلها المستعمر سواء كانت هذه المناطق داخل الوطن أم خارجه.

– لم نعثر على رحلة للنزهة والترفيه فكل الرحلات لها غاية محددة وهي خدمة المصالح الفرنسية.

(1) – أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي، ج7، ص 462.

– عرفت الرحلة بعد الاحتلال انتشارا وشيوعا خاصة نحو بلاد أوروبا وبالتحديد بلاد المحتل (فرنسا) ونتج من هذا تقلص الرحلة نحو الحجاز (بالأخص الحرمين).

– لم تعد الرحلة ذا ارتباط بالطموح الفردي للرحالة وإنما غدت رحلات مرتبطة بطموح المستعمر.

– تسخير السلطات الاستعمارية العديد من الرحالة الجزائريين وذلك من أجل إحاطتها بمعلومات حول المناطق التي تجهلها في الجزائر والمعلومات التي تجهلها حول أحوال البلدان العربية وشعوبها وذلك حتى يسهل عليها احتلالها والسيطرة عليها.

– جاءت أغلب الرحلات نتيجة لرغبة السلطات الاستعمارية وقلما نجد رغبة لدى هؤلاء الرحالة مما جعلهم لا يسجلون في رحلاتهم إلا ما ترغب وترضى عنه السلطات الفرنسية.

– استطاع الاستعمار الفرنسي التأثير على المثقفين الجزائريين ويتجلى ذلك في تنويه الرحالة الجزائريين بالتقدم الحضاري لفرنسا في جميع المجالات المادي منها والفكري والثقافي...

– كل الرحلات تتفق في الشكر والثناء للمحتل.

– وأهم خاصية حظيت بها الرحلات الخادمة للمصالح الفرنسية هي الطبع والنشر على عكس الرحلات الأخرى التي لا تفيد الفرنسيين في شيء، من ذلك الرحلات الحجازية وفي هذا يقول أبو القاسم سعد الله:"معظم الرحلات طبعت بطريقة أو بأخرى مثل الرحلات التي كانت باتجاه فرنسا، لأن الهدف منها هو التعريف بما شاهد الزائر وبث الدعاية الموالية للفرنسيين ومدينتهم، كما أن بعض الرحلات سيقت أو ترجمت في المجالات الفرنسية حيث يعرف بها الكتاب الفرنسيون لعلاقاتها باهتمامات بلادهم كتلك التي عالجت موضوع الصحراء أو الحجاز...ولكن رحلات حجازية أخرى وغيرها لم تدخل المطبعة..."[1].

(1) – أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي، ج7، ص 459.

# المحور الحادي عشر

# الرحلة نحو الحج

**الرحلة نحو الحج:**

إن لأدب الرحلات مكانة عالية بين التصانيف المختلفة، وما ذاك إلا لما يحويه هذا التأليف من فوائد؛ ولذلك تجد إقبالا من أهل غالب الفنون؛ فلكتب الرحلات عناية بالشّؤون الدِّينية الخاصَّة بطريق الرحلة، واهتمام بالأوضاع الاجتماعية، والسياسية، والاقتصادية، والعلمية، لقاطني الديار التي يمر بها الرحالة، وفيها احتفال بالغرائب والعجائب، وحرص على ملاقاة من يستحق اللقاء من العلماء والأدباء، وإلمام بتاريخ المدن وأسماء البلدان وأخبارها، إضافة إلى أن طابعها يتسم بالإمتاع والمؤانسة، وما أجمل رفقة كتب الرحلات إبان السفر؛ أو حين انشغال الذهن؛ ففيها ترويح آمن، ومعلومات لطيفة لا تجلب الملل للنَّاظر فيها. ومهما تنوعت الرحلات واختلفت؛ فإن أعظم رحلة يقوم بها إنسان هي تلك الرّحلة التي تسبق مشاعره فيها جوارحه، وترنو إليها روحه سابقة جسده، ويهيم بها فؤاده قبل الشروع فيها، ولا تجتمع هذه الصفات إلا لقاصدي البيت العتيق للحج والعمرة، ويا لها من رحلة تستعذبها الأرواح، وتستروح النفوس عبيرها، وتظل ذكراها الجميلة عالقة في ذهن منشئها زمنا طويلا، وقد ألف بعض العلماء والأدباء والمؤرخين كتبا عن رحلاتهم إلى الحج، ويرجع التَّأليف في هذا الباب إلى القرن السادس الهجري، واشتغال الأدباء به أكثر من اشتغال العلماء؛ لأنَّ الأدباء يتوسعون في العبارة، ويكتبون عن الحادثة الواحدة صفحات طويلة ماتعة بسبب ماحباهم الله من أدب الدرس؛ والقدرة على تشقيق الكلام وإجادة الوصف[1]، ومن أهم الرحلات الحجية الجزائرية الرحلة الورتلانية التي تعتبر من أحسن ما ختم به القرن الثاني عشر الهجري(18م)؛ إذ أسهمت في نقل كثير من الصور الجميلة والمشاهد المميزة لتلك البقاع المقدسة، والأماكن والمدن التي مر بها، وطبيعتها الجغرافية، وظروفها المعيشية، وتقاليدها، وثقافتها، وأحوال شعوبها، وزيارة المعالم والآثار المقدسة، ولقاء العلماء والأفاضل، كما عنيَ ببعض الجوانب خاصة النواحي الاجتماعية والاقتصادية والأمنية لتلك البلاد. كما تضمنت بعض المعلومات التي لا يستغنى عنها مؤرخ أو جغرافي أو أديب. فهي بحق تعتبر من أوسع البرامج والفهارس العلمية.

[1] – أحمد بن عبد المحسن عساف: رحلات الحج في كتب العلماء والأدباء المستشرقين ، https://r.search.yahoo.com ، 25 نوفمبر 2024، 21:13 .

**1- رحلة " نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار" للورثيلاني:**

رحل الورثيلاني إلى المشرق ثلاث مرات لأداء فريضة الحج، فكانت حجته الأولى سنة 1153هـ، والثانية سنة 1166هـ، والثالثة سنة 1179هـ، وفيها دوّن رحلته الشهيرة خرج الورثيلاني في رحلته من الجزائر قاصدا بلاد الحجاز، فمر ببسكرة، فتوزر، فقابس ثم طرابلس ليدخل إلى مصر، ومنها إلى مكة المكرمة، وفي كل محطة من هذه المحطات كان يقف عندها بالوصف المستفيض، فنجده يصف أهلها،وعاداتهم وتقاليدهم.

كتب هذه الرحلة عندما ذهب للحج سنة 1179هـ، وتحدث فيها عما شاهده من أماكن وبلدان، ومن التقى بهم من العلماء، والفضلاء والأدباء والفقهاء والمحدثين والمفسرين حتى قال عنها: " أنشأت رحلة عظيمة يستعظمها البادي ويستحسنها الشادي، فإنها تزهو بمحاسنها عن كثير من كتب الأخبار"[4].

ذكر الرحالة سبب تدوينه للرحلة، وهو ما رآه في الحجاز، وشغفه به " فإني لما تعلق قلبي بتلك الرسوم والآثار والرباع والقفار والديار والمعادن والمياه والبساتين والأرياف، والقرى، والمزارع، والأمصار، والعلماء، والفضلاء والنجباء والأدباء من كل مكان من الفقهاء، والمحدثين، والمفسرين الأخيار، والأشياخ العارفين والإخوان المحبين"[5].

اعتمد الورثيلاني في رحلته الشهيرة على كتب الرحلات السابقة له كرحلة العياشي، والعبدري، والبلوى، ورحلة ناصر الدرعي الجعفري، كما نقل أيضا، من بعض كتب التاريخ كنبذة المحتاجة في ذكر ملوك صنهاجة، ومختصر الجمان في أخبار أهل الزمان، وحسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، وغيرها.

الرحلات الحجية في عهد جمعية العلماء المسلمين نجد رحلة أحمد توفيق المدني إلى الحجاز في أوائل الثلاثينيات من القرن العشرين، وكان حينها من أبرز وجوه جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وقد جاءت رحلته في سياق سياسي بالغ الدقة، حيث كانت الجزائر

ترزح تحت الاستعمار الفرنسي، وكانت الجمعية تخوض معركة حاسمة للحفاظ على الهوية الإسلامية والعربية للجزائريين، عبر التعليم والإصلاح الديني والتثقيف السياسي[1].

لقد ركز المدني في وصفه للحج على الجوانب الإيمانية والوجدانية، وقدّم صورة وجدانية عميقة لمشاعره أثناء أداء المناسك. يصف لحظة الوقوف بعرفة قائلاً:

"هناك، في عرفات، يمتزج الزمان بالمكان، والروح بالهواء الطاهر، فتشعر وكأنك تحيا أول الخلق وتنتظر آخر الحساب"[2].

وقد عبّر في عدة مواضع من رحلته عن الشعور بالانتماء العميق إلى الأمة الإسلامية، من خلال مشهد الحشود القادمة من مختلف أنحاء العالم الإسلامي، يجمعهم التوحيد رغم اختلاف لغاتهم وألوانهم.

كما تميزت رحلة المدني بنبرة وطنية واضحة. فقد عقد مقارنة بين أوضاع المسلمين في الحجاز، وما رآه من حرية دينية وثقافية، وبين ما يعانيه الجزائريون من قمع فرنسي واضطهاد للغة العربية والدين الإسلامي. وقد عبّر عن ذلك بأسلوب بليغ، جاء فيه:

"ما أشدّ الأسى حين يعود المرء من الحج ليجد قومه محجوبين عن نور الإسلام بلغة غير لغتهم، ومناهج لا تمت لتاريخهم بصلة"[3].

[1] - أبو القاسم. سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي .ج4، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998، ص 204.

[2] - أحمد توفيق المدني : حياة كفاح، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983، ص 135.

[3] - أحمد توفيق المدني : حياة كفاح ، م س ، ص 142.

كما أبدى إعجابه بالحراك الثقافي في المشرق العربي، وخاصة في مصر، حيث لمس نهضة فكرية ومدارس إصلاحية، تمنى أن يكون للجزائر مثلها في ظل الاستعمار.

لقد أثرت هذه الرحلة في فكر توفيق المدني ووسّعت أفقه الإصلاحي، إذ ساهمت في تعميق رؤيته لدور الجزائر في العالم الإسلامي، وضرورة النهوض بالوعي الشعبي لمواجهة الاستعمار. وقد تجلت هذه الرؤية لاحقًا في كتاباته الصحفية ومشاركاته في أعمال جمعية العلماء[1].

كما عكست الرحلة مدى وعيه بأن الحج لا يجب أن يكون مجرد طقس ديني، بل محطة لتجديد العهد مع الله ومع قضايا الأمة، خاصة قضية الجزائر التي جعلها حاضرًا في كل وصفٍ وملاحظةٍ خلال الرحلة.

تمثل رحلة توفيق المدني إلى الحجاز وثيقة أدبية وتاريخية وروحية تعكس أبعادًا متعددة للوعي الجزائري في ظل الاستعمار، وتكشف عن تداخل الدين والسياسة والثقافة في خطاب النخبة الوطنية. فقد استطاع المدني أن يحوّل تجربة الحج من طقس فردي إلى مناسبة جماعية للوعي والتأمل في هموم الأمة، لتظل رحلته شاهدًا على وعي جيلٍ آمن بأن خلاص الجزائر يبدأ من الإيمان بالهوية والانفتاح على الأمة.

[1] – المرجع نفسه، ص 147

# المحور الثاني عشر

# حضارة الشرق (الصين، الهند...) في الرحلة

**- حضارة الشرق (الصين، الهند...) في الرحلة:**

لم يتوقف اهتمام العلماء العرب والمسلمين بالصين عند الكتابة عن تاريخهم وحاضرهم، فقد قام عدد منهم برحلات إلى الصين وزاروا مدنها والتقوا بأهلها خاصة المسلمين منهم وساحوا في طبيعتها الخلابة وعادوا معجبين أو غير معجبين بما شاهدته أعينهم وسمعته أذانهم واستخلصته بصائرهم.

ومن أهم الرحلات الجزائرية التي كانت باتجاه الصين رحلة علي المرحوم ورحلة محمد الصالح رمضان، ولم تكن هذه الرحلة أول الرحلات الجزائرية إلى بلاد الصين، فقد سبقها زيارات لعدد من العلماء الجزائريين (أحمد توفيق المدني، محمد الغسيري، عباس بن الشيخ الحسين، مالك بن نبي، عبد العزيز خالدي....) خاصة خلال الثورة التحريرية إذ وقفت الصين مساندة لكفاح الجزائريين، ومن أهم تلك الرحلات رحلة أحمد توفيق المدني إلى الصين التي امتدت من 24 سبتمبر إلى 10 أكتوبر 1959م ، وقد رافقه بن يوسف بن خدة وزير الشؤون الاجتماعية –أنداك– لتمثيل الحكومة الجزائرية المؤقتة في احتفالات الذكرى العاشرة لتأسيس الجمهورية الصينية الشعبية وقد عنون رحلته " في بلاد العمالقة الصين الشعبية[1] .

وتعد رحلة علي مرحوم ورحلة محمد الصالح رمضان من أهم الرحلات التي كانت باتجاه الصين، ودامت هذه الرحلة 13 يوما، وكان الذهاب يوم 7 نوفمبر 1982م إلى غاية 20 نوفمبر 1982م، وقد قامت جريدة " العصر" أخبار الرحلة ومشاهد أصحابها وانطباعاتها، لقد خصص الشيخ علي مرحوم الجزء الأول من رحلته لعرض تاريخ وصول الإسلام إلى الصين وتفاعل الصينيين مع تعاليمه عبر العصور، وعلاقات المسلمين في العالم العربي والتبادل التجاري والثقافي بينهم في العصور القديمة والحديثة وتحدث عن أهم

[1] – أحمد توفيق المدني: حياة كفاح، مذكرات ، عالم المعرفة، 2010م، ج3، ص ص 666– 673.

الجمعيات الإسلامية في الصين، وعاد في القسم الثاني إلى وصف الرحلة كزيارة المدن والمساجد والمصانع والاتصال ببعض الشخصيات الدينية والعلمية والإدارية، وذكر مراسيم التوديع وزم نصه بخلاصة من الانطباعات المركزة حول طبائع الصينيين و عجائب دولتهم و عبر كذلك عن إعجابه بالشعب الصيني المهذب و المنضبط و الفعال البناء، وانتشار على الأمن و السلم و العدالة الاجتماعية[1].

وهذا الشعور نجده أيضا عند الشيخ محمد الصالح رمضان الذي لخص كل ذلك في هذه الفقرةٍ:" فقد رأينا الشعب الصيني العظيم دؤوبا على العمل يبني و يشيد قي صمت بلا جلبة ولا ضوضاء، وهو المعروف بالجد و النظام و الانضباط ، يعمل بكل ثقة و أمل ،لا يكل ولا يمل، وحبه للعمل وإتقانه له يفوق كل اعتباره، والمرأة تشارك الرجل في كل شيء حتى في الأعمال الكبيرة الشاقة، لا فرق بينها و بينه ، فهو شعب جدير بالحب والتقدير و الاحترام "[2].

وقد غلب الاستطراد أيضا على نص الشيخ مرحوم، فحرص هو أيضا على تقديم معلومات دقيقة و مفصلة عن تاريخ الصين وجغرافيتها، حيث خصص الجزء الأول من رحلته لعرض تاريخ وصول الإسلام إلى الصين وتفاعل الصينيين مع تعاليمه عبر العصور وعلاقات المسلمين الصينيين مع غيرهم من المسلمين في العالم العربي والتبادل التجاري والثقافي بينهم في العصور القديمة والحديثة وتحدث عن أهم الجمعيات الإسلامية في الصين والتركيبة العرقية للمسلمين الصينيين وتوزيعهم الجغرافي .

[1] - مولود عويمر: الرحلة الصينية عالمان جزائريان في بلاد الصين، شركة الأصالة للنشر والتوزيع، الجزائر، (د،ط)، 2018 م، ص13.

[2] – المرجع نفسه، ص ص 14، 15.

وعاد في القسم الثاني إلى وصف الرحلة كزيارة المدن والمساجد والمصانع والاتصال ببعض الشخصيات الدينية والعلمية والإدارية، وذكر مراسيم التوديع بمطار بكين[1] .

وختم نصه بخلاصة من الانطباعات المركزة حول طبائع الصينيين وعجائب دولتهم وعبر كذلك عن إعجابه بالشعب الصيني العظيم دؤوبا على العمل يبنى ويشيد في صمت بلا جلبة ولا ضوضاء، وهو المعروف بالجد والنظام والانضباط يعمل بكل ثقة وأمل، لا يكل و لا يمل وحبه للعمل وإتقانه له يفوق كل اعتبار، والمرأة تشارك الرجل في كل شيء حتى في الأعمال الشاقة لا فرق بينها وبينه فهو شعب جدير بالحب والتقدير والاحترام[2]

[1] – مولود عويمر: الرحلة الصينية عالمان جزائريان في بلاد الصين، م س، ص14 .

[2] – المرجع نفسه، ص ص 14، 15.

# المحور الثالث عشر

# دول المشرق العربي في الرحلة

**دول المشرق العربي في الرحلة:**

عرف الرحالة العرب والمسلمين رحلات عديدة طافوا من خلالها كافة البلاد الإسلامية وغير الإسلامية، كما تعددت أهدافهم وغاياتهم من تلك الرحلات وقد استمرت الرحلات إلى عصرنا الحالي، كما أن أغلب الرحلات قديما كانت في أغلبها نحو البلاد الإسلامية بغرض الدراسة أو التجارة أو الحج في البقاع المقدسة.

ومن أهم الرحلات التي كانت باتجاه المشرق العربي رحلة **شهاب الدين أحمد المقري التلمساني** الذي يعد أحد أبرز أعلام الجزائر في العصر الوسيط، التي قادته إلى عواصم المشرق العربي، حيث جمع *بين* طلب العلم والحنين الأندلسي والتأمل الحضاري.

لقد جسّد المقري في هذه الرحلة مثال المثقف الجزائري المتشبع بالهوية الأندلسية والمفتوح على آفاق المشرق، فسعى إلى تثبيت حضوره في المشهد الثقافي المشرقي، واستثمار رصيده العلمي في التفاعل مع النخبة العلمية في القاهرة و*دمشق* و*الحجاز*، ولم تكن الرحلة حدثًا عابرًا في حياته، بل أسست لمرحلة مفصلية أثمرت مؤلفات خالدة، أبرزها **"نفح الطيب"**.

وُلد المقري سنة 986 هـ/1578م بتلمسان، في بيئة ثقافية أصيلة، تنتمي إلى الإرث الأندلسي الذي استوطن المغرب الأوسط بعد سقوط غرناطة. وقد نشأ في ظل مدرسة علمية قوية، لكنه كان يدرك محدودية الأفق الثقافي المغاربي مقارنة بالمشرق العربي الذي ظل يشكل مركز الثقل الحضاري والعلمي للعالم الإسلامي. وقد قرر الرحيل نحو المشرق في فترة

كانت المنطقة تعيش على وقع التحولات السياسية، في ظل السيطرة العثمانية، وبروز مراكز علمية جديدة أبرزها القاهرة ودمشق[1].

رحل المقري من تلمسان إلى فاس، ومن هناك انطلق إلى الحجاز لأداء فريضة الحج، ثم زار المدينة المنورة ومكة المكرمة، فالقدس ودمشق والقاهرة، وأقام طويلا بمصر حيث وجد في الأزهر الشريف بيئة علمية خصبة أتاحت له التفاعل مع كبار العلماء، والانخراط في الحلقات الفقهية واللغوية[2].

إنّ رحلة المقري إلى المشرق لم تكن مدفوعة بدافع ديني محض، بل كانت رحلة علم ومعرفة ومكانة رمزية، لقد كان يسعى إلى توسيع أفقه الفكري، والاحتكاك بالتيارات العلمية المشرقية، والحصول على الإجازات من شيوخ المشرق، وهي إجازات كانت آنذاك بمثابة "وسم علمي" يمنح للمترحل وجاهة فكرية[3]، كما كان المقري مهتمًا بالاطلاع على المكتبات الكبرى، ومخطوطاتها النادرة، خاصة تلك التي تتصل بالتاريخ الأندلسي وبالفقه المالكي وبعلم الكلام .وقد وجد في مصر والشام والجزيرة العربية فضاء واسعا لمراجعة مخزونه المعرفي، وصقل أدواته النقدية والتحليلية.

لا يمكن فهم مؤلفات المقري، وبخاصة "نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب"، دون استحضار هذه الرحلة. فقد أتاحت له الاطلاع على مصادر كثيرة لم تكن متوفرة في المغرب

---

[1] – عبد الجليل التميمي، الحياة الثقافية في المغرب العربي خلال العهد العثماني، منشورات جامعة منّوبة، تونس، 1984، ص 63.

[2] – المقري، أحمد، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1968، ج1، ص ص 28–35.

[3] – قويرح، عبد السلام، أدب الرحلة في المغرب والأندلس، منشورات كلية الآداب، الرباط، 2001، ص 201.

الأوسط، كما مكّنته من تحقيق تواصل مع علماء وأدباء أعانوه في جمع المادة التاريخية والأدبية عن الأندلس.

وقد ضمّن المقري في "نفح الطيب" كثيرا من مشاهداته في المشرق، وأدرج تراجم لشخصيات مشرقيّة التقاها أو تأثر بها. كما تتجلى في الكتاب لغة مشرقية التأثر، ونفس أدبي رصين يدل على تطور أسلوبه بفعل هذه الرحلة. بل يمكن القول إنّ المشروع التأليفي للمقري تشكّل في المشرق، واكتملت أدواته هناك[1].

تظهر الرحلة في فكر المقري كأداة لإعادة وصل ما انقطع بين ضفتي الحضارة الإسلامية: المغرب والمشرق، فقد كان يحمل هما حضاريا يتمثل في إبراز عظمة الحضارة الأندلسية، والسعي إلى حفظ ذاكرتها من الضياع، وفي الآن ذاته، كان حريصا على تأكيد وحدة الأمة الإسلامية، رغم التباين الجغرافي والسياسي، ولعل الطابع الموسوعي لكتاب "نفح الطيب"، الذي يضم تراجم وأخبارا ونوادر من المشرق والمغرب، هو دليل على روح الجامع الحضاري التي تحلى بها المقري، والتي غذتها رحلته العلمية[2]

إن رحلة شهاب الدين المقري إلى المشرق العربي لم تكن مجرد تجربة شخصية، بل كانت نموذجا دالا على الحركية العلمية في العالم الإسلامي خلال القرن العاشر الهجري. لقد مثل المقري جسرا معرفيا بين تلمسان والقاهرة، بين فاس ودمشق، وبين تراث الأندلس وهموم المشرق، جامعا بين الذاكرة التاريخية والرؤية الحضارية.

---

[1] – الزركلي، خير الدين، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط5، 1980، ج1، ص 231.

[2]– عبادي، محمد، الرحلة في الفكر المغاربي الحديث، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 1998، ص 82.

وقد برهنت هذه الرحلة على أن المثقف الجزائري، رغم موقعه الجغرافي، لم يكن منغلقا أو معزولا، بل كان فاعلا في منظومة الفكر الإسلامي الكبرى، يسهم في التأليف، ويرحل طلبًا للعلم، ويحفظ الذاكرة الحضارية. لقد كانت رحلة المقري إلى المشرق لحظة تحول مفصلي، تجسد فيها لقاء الذات بالآخر في وحدة حضارية راقية.

ومن أشهر الرحلات الجزائرية التي كانت باتجاه المشرق في عصرنا الحالي رحلات أبو القاسم سعد الله والمتمثلة في رحلته إلى (السعودية) بعنوان" رحلتي إلى الجزيرة العربية " لدعوة "وصلته من جامعة الرياض من أجل المشاركة ببحث في الندوة التي تنظمها عن مصادر تاريخ الجزيرة العربية في أفريل 1977م، وشارك ببحث موضوعه الرحلات الجزائرية الحجازية خلال العهد العثماني.

يقول أبو القاسم سعد الله حول رحلته إلى شبه الجزيرة العربية" السفر إلى الجزيرة العربية ليس كالسفر إلى أي جهة أخرى، فإذا كنت في بقية الأسفار تستعد ماديا للسياحة أو لحضور اجتماع دولي أو لأداء مهمة رسمية، فإنك بالنسبة إلى (الجزيرة العربية) تستعد قبل كل شيء استعدادا روحيا مهما كان غرضك المادي من السفر سيما إذا كان سفرك إليها لأول مرة كما الحال بالنسبة لي"[1].

فالسفر في نظر سعد الله إلى هذا البلد يعد سفرا من نوع آخر لا يكفي فيه الاستعداد المادي فقط، بل هو بحاجة إلى استعداد ثاني، هو استعداد روحي ونفسي لقداسة المكان.

يستعرض سعد الله الطريقة المنتهجة في تأليف رحلته إلى الجزيرة العربية قائلا:" وقد سجلت، كعادتي في كل بلد أزوره، يوميات وانطباعات ومشاهدات ... وقد تجمع لدي من ذلك كراسة لو نقحت وطبعت لجاءت في مجلد وسط، وليس في نيتي الآن ولا في إمكاني نشر كل ما سجلت من يوميات وانطباعات، وحسبي أن أستعرض جوانب من هذه الرحلة

[1] – أبو القاسم سعد الله: تجارب في الأدب والرحلة ، م س، ص236 .

تتعلق خصوصا بموضوع هذه الندوة التي دعيت إليها، وما يمت إليها بصلة من زيارات وحفلات ومشاهدات وأحاديث وقراءات"[1].

اقتصر سعد الله عرض ما يتعلق عرض ما يتعلق بالندوة التي حضرها، وكل ما رافقها من أحداث كلقاء علماء التاريخ، والأدب .

لم تكن رحلة أبي القاسم سعد الله إلى شبه الجزيرة العربية تجربة عابرة أو فعلا مناسكيا محضًا، بل شكلت محطة مركزية في بلورة وعيه الفكري والتاريخي، وأسهمت في تعميق رؤيته لقضايا الأمة الإسلامية، ولا سيما ما يتعلق بالهوية، والتعليم، والتجديد الديني. لقد خرج سعد الله من هذه الرحلة محملا بجملة من الانطباعات الفكرية التي غذّت لاحقًا أعماله البحثية ومواقفه الثقافية.

أول ما يمكن تسجيله من أثر هو إعادة تقييمه للعلاقة بين الدين والتحديث في المجتمعات الإسلامية. فقد لاحظ أن المملكة العربية السعودية تعيش حالة تحديث عمراني وتقني لافت، خاصة في إدارة الحرمين والمؤسسات الدينية، لكنه في الوقت ذاته نبه إلى مخاطر اختزال الدين في طقوس تنظيمية أو شعائرية دون بعد إنساني وروحي عميق[2] .وهذا ما دفعه لاحقا إلى التنبيه إلى خطورة "الجمود الديني" في بعض الممارسات، مقابل الحاجة إلى إحياء الفكر الإصلاحي المتنور الذي ميز القرن التاسع **عشر**.

ومن جهة أخرى، تركت الرحلة أثرا بارزا على رؤيته للمؤسسة التعليمية الإسلامية، إذ أبدى إعجابا بمستوى التنظيم والموارد في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، لكنه دعا إلى تحقيق التوازن بين الأصالة والانفتاح العلمي، منتقدا الاكتفاء بالمناهج التقليدية دون الانفتاح على علوم العصر. وقد ظهرت هذه الدعوة بوضوح في كتاباته لاحقا، حيث أكد أن النهضة لا تتحقق إلا بإصلاح العقل المسلم وتعليمه، لا بالاكتفاء بالتقليد أو الحنين للماضي[3].

[1] – أبو القاسم سعد الله: تجارب في الأدب والرحلة ، ص236 .

[2] – أبو القاسم سعد الله، رحلات ومشاهدات، منشورات عالم المعرفة، الجزائر، 1989، ص. 171.

[3] – أبو القاسم سعد الله، أحاديث في الثقافة والتاريخ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985، ص. 101

كما أثّرت الرحلة في تصور سعد الله لمكانة اللغة العربية والثقافة الإسلامية كعوامل وحدة حضارية .فقد لاحظ أن اللسان العربي، رغم انتشاره في الجزيرة، صار يعاني – في بعض مناطقه – من ضعف في الخطاب الثقافي والفكري، نتيجة انتشار اللهجات المعاصرة والمفاهيم المستوردة. ولذا، فقد شدد على ضرورة إحياء اللغة العربية بوصفها لغة فكر وثقافة لا لغة شعائر فقط، وهو ما يعكس قلقه المستمر من تراجع الوعي الحضاري العربي والإسلامي في مواجهة التغريب[1] .

ولعل أبرز ما خلص إليه سعد الله بعد هذه الرحلة، هو التأكيد على مركزية البعد الروحي في المشروع النهضوي فحسب رأيه لا يمكن أن تنهض الأمة الإسلامية دون تأسيس حقيقي على القيم الروحية الأصيلة التي تمثل جوهر الإسلام، والمبنية على الحرية والعدل والتسامح. وقد أصبحت هذه الرؤية سمة واضحة في مقالاته وأحاديثه العامة، حيث كثيرا ما دعا إلى أن تستمد النهضة من داخل الذات الإسلامية لا من الاستيراد الخارجي وحده[2].

بذلك، يمكن القول إن رحلة سعد الله إلى شبه الجزيرة لم تكن مجرد انطباع سياحي أو ديني، بل كانت مختبرا فكريا صاغ من خلاله مفاتيح منهجه الثقافي، ووسّع أفقه المقارن بين ما هو محلي وما هو عالمي، وما هو تراثي وما هو عصري.

[1] - أبو القاسم سعد الله، في الأدب الجزائري الحديث، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1993، ص. 218.

[2] – المرجع نفسه، ص220.

# المحور الرابع عشر

# الغرب(أروبا- أمريكا)في الرحلة

**- الغرب(أوروبا- أمريكا) في الرحلة:**

إن الارتباط الجغرافي بين منطقة شمال إفريقيا، خاصة البلدان المغاربية الأربع (الجزائر وليبيا وتونس والمغرب) وأوروبا جعل الحركة والانتقال بين ضفتي المتوسط لا تنقطع مع مرور الزمن، إذ تمثل أوروبا مركز تأثير مستمر على المنطقة، إذ ابتدأ من عهد النهضة الأوروبية وما صاحبها من الأحداث خاصة الثورة الصناعية، والثورة الفرنسية، كما هناك تداخل حتى في تكوين الفرد الأوروبي والمغاربي من الناحية الحضارية، وبالتالي هناك حركة انتقال دائمة بين الضفتين الشمالية والجنوبية للبحر المتوسط حتى بين الدول المغاربية خاصة الجزائر مما أكسبها ثقافة مشابهة، بوجود مراكز علمية، ومن الذين انتقلوا إلى أوروبا وبالتحديد فرنسا في النصف الأول من التاسع عشر نجد حمدان خوجة الذي قام بزيارته لفرنسا عام 1820 م وكذلك مولود بن عراش وزير الخارجية للأمير عبد القادر عام 1837م، وصالح بن محمد العنتري ومجموعة من علماء قسنطينة وأعيانها عام 1844م.

وفي النصف الثاني من التاسع عشر انتقل علماء آخرون لاكتشاف الغرب والاحتكاك بحضارته وعلومه نجد رحلة ابن صيام ورحلة محمد السعيد بن علي الشريف صاحب زاوية شلاطة ببجاية عام 1852م، وأحمد ولد قادي( قاضي) سنة 1878م، هؤلاء سجلو ملاحظاتهم وشهاداتهم عن مشاهدتهم الجغرافية المجتمع الأوروبي واقتصاده وسياسته، وقد نالت فرنسا النصيب الأكبر من تلك الكتابات الجغرافية والسياسية وعادات وتقاليد شعبها وطريقة تفكيره .

**1- أوروبا في كتابات الرحالة الجزائريين:**

تطرقت الكتابات الجزائرية إلى وصف أوروبا وبالتحديد فرنسا لكثرة الرحلات نحوها، فقد سجلوا من خلالها انبهار والإعجاب ومن أهم تلك الرحلات :

الرحلة الصيامية : بالجزائر رحلة ابن صيام إلى فرنسا عام 1852م وصاحبها سليمان بن صيام والذي استغرقت رحلته شهرا من 25 أفريل إلى 25 ماي (سنة 1952م) وكانت الرحلة تضمه هو ومجموعة من الأعيان و هؤلاء لم يسافروا من تلقاء أنفسهم و إنما كانوا مأمورين

من طرف الحاكم العام الماريشال جاك لويس راندون Jacques luis Randon (1871/1795) الذي أمرهم بالتوجه نحو العاصمة الفرنسية لحضور حفل تنصيب نابليون الثالث Napoléon(1808/ 1873)، وهو ما أقر به ابن صيام قائلا" أمرني من يحب الامتثال لأمره، وهو والي دايرة الجزائر، البطل الهمام، والأسد الضرغام، سعادة السيد القورفونور راندون ...وتركت مليانة دار السكنى إلى الجزائر الغراء، ووجدت بها جماعة من رؤساء العرب مأمورين مثلي بالسفر لهاتيك البقاع (باريس) "[1]، وأول مدينة حط بها ابن صيام هي مدينة "سيط"Cette ثم اتجه بعدها إلى مدينو "مونبلييه" Montpellier ثم إلى" ليون" Lyon، وبعدها إلى مدينة "باريس" Paris، لينطلق ابن صيام مباشرة في وصف مدينة باريس مبديا إعجابه الشديد بطرقاتها، وشبكات السكك الحديدية، ومبانيها ومتاحفها قائلا" ذلك النهر على الضفة المتقدمة من العرض والرصايف والقناطر وتعدد السفن الدخانية، وشواهق القلوع "[2] .

كما وصف ابن صيام في رحلته الحفلات التي حضروها والمآدب التي أعدت لهم إضافة إلى انبهاره بمناظرها الخلابة وشوارعها ومبانيها العالية ومعالمها العتيقة التي رأى أنها عجائب قائلا: " ومن العجائب التي رأيناها هناك شجرة خارجة من المحل شيئا فشيئا حتى استوت على ساقيها ثم بدأت أوراقها وأزهارها إلى أن خرج من أزهارها نساء كن ملتفات بالأوراق فمزقن الأوراق وتكلمن مع بعض من حضر فكشف الغيب أن الشجرة ليست حقيقية وإنما هي صورة القط"[3].

[1] – ابن صيام: الرحلة الصيامية (رحلة سليمان بن صيام إلى بلاد فرنسة)، تحقيق وتقديم خالد زيادة،(د، ط)، دار السويدي للنشر والتوزيع أبوظبي، 2005، ص25.

[2] – المرجع نفسه: ص 30.

[3] –عبد الله الركيبي: تطور النثر الجزائري الحديث (1830– 1962)، (د، ط)، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب 1983، ص73).

كما اهتم بوصف الطبيعة حيث وصف مدينة باريس وطبيعتها وبنياتها وسكانها ، كما وصف أخلاق المجتمع الباريسي ومما يتصفون به من ذكاء وحب على الاطلاع والبحث عن الجديد، إضافة إلى حديث عن المرأة وأوصافها.

وقد علق سيف الإسلام الزبير عن أسلوب الرحلة الصيامية قائلا " وقد جمع أسلوبه في العرض بين أسلوب الرحالة القديم وأسلوب الربورتاج المعاصر ...يستعرض لك الرحلة مرحلة مرحلة منطلقا من مقر سكناه إلى العاصمة ثم يسرح في آفاق البحر، الذي ركب أمواجه وينتقل إلى كروسة الدخان ... فوصفها وصفا دقيقا من آلتها إلى الفحم الحجري إلى قضبان الحديد التي تسير فوقها، إلى المغارات التي حفرت تحت الجبال تسهيلا لشق طريقها"[1].

[1] – الزبير سيف الإسلام، تاريخ الصحافة في الجزائر (رواد الصحافة الجزائرية)، مطبعة دار الشعب، ط1، 1981م ، القاهرة، مصر، ص15).

# خـــــاتمة

**خاتمة :**

– سيطرت السلطات الاستعمارية خلال الفترة الأولى من الاحتلال على العديد من الخطب خاصة الدينية فقد أصبحت الخطبة تكتب تحت جناح السلطات الاستعمارية إذ تعمل على كتابة ما يرضيها وما يخدمها و تفرضها على الخطيب فلا يخرج عنها كما أن أسلوبها ضعيف لا يرقى إلى الأسلوب الأدبي إطلاقا.

– لقد مثّلت الخطابة في عهد جمعية العلماء المسلمين أداة استراتيجية وفعالة لتوجيه الرأي العام الجزائري، فخرجت من الطابع الوعظي التقليدي إلى منبر إصلاحي، تثقيفي، وتحرري. واستطاع الخطباء من خلال الموضوعات التي عالجوها أن يصنعوا وعيًا جماعيًا مقاومًا، شكّل أحد أبرز الروافد التي مهّدت لاحقًا لانطلاق الثورة التحريرية الكبرى.

– تميزت خطب جمعية العلماء المسلمين بظاهرة الحماس وتتأرجح هذه الظاهرة عندهم بين اللين تارة والشدة طورا آخر بحسب المواقف، وكذلك الاقتباس من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف.

– أصبحت الخطابة منبرًا للدفاع عن اللغة العربية والإسلام كثوابت وطنية، فكانت الخطب تؤكد على أن الانتماء الحقيقي للجزائريين هو للإسلام والعربية، لا للفرنسية ولا للثقافة الغربية، ونجح الخطباء في ترسيخ هذا الوعي في نفوس الناس، خصوصًا في القرى والمناطق التي تفتقد إلى التعليم النظامي.

– تعد الرحلة جنسا أدبيا يختلف عن باقي الأجناس الأدبية الأخرى، حيث يؤدي السارد دور المسرود له، فضلا عن دور الوصف فيها حيث يشكل دينامية للسرد، وهو المحور الذي يدور عليه.

– الرحلة قبل الاحتلال كانت في أغلبها نحو البلدان العربية لأغراض وغايات مختلفة منها ما كان بغرض العلم أو الحج أو التجارة أما الرحلات إلى البلاد غير إسلامية فكانت قليلة ومحددة الأهداف ولكن بعد الاحتلال الفرنسي عرفت الرحلة انتشارا وشيوعا نحو بلاد أوروبا وبالأخص فرنسا.

– عملت السلطات الاستعمارية في بداية الاحتلال على تسخير العديد من الرحالة الجزائريين، وذلك من أجل إحاطتها بمعلومات حول المناطق التي تجهلها في الجزائر والمعلومات التي تجهلها حول أحوال البلدان العربية وشعوبها وذلك حتى يسهل عليها احتلالها والسيطرة عليها.

– شكلت الرحلة الحجية في الجزائر مظهرا حضاريا فريدا، لا يقتصر على البعد التعبدي، بل يمتد ليشمل الجوانب التاريخية، والثقافية، والسياسية وبهذا، أصبحت هذه الرحلات مرآة عاكسة لوعي الإنسان الجزائري، وتعبيرا عن هويته الإسلامية في تفاعلها مع العالم. فهي ليست مجرد انتقال جغرافي، بل سفر في الذات والكون.

– لقد كان لهذه الرحلات دور في تفعيل الحركة الإصلاحية في الجزائر من خلال نجاحها في نقل كل ما يتعلق بأسباب نجاح أوروبا لتكون بذلك قد ساهمت في إيقاظ الوعي الجزائري.

# قائمة المصادر والمراجع

- **قائمة المصادر والمراجع:**

- **القرآن الكريم** : برواية ورش عن نافع ، دار اليمامة ، دمشق ، الطبعة الثانية 1436هـ / 2014 م.

**1- المراجع:**

**أ - المراجع باللغة العربية:**


1- إبراهيم القادري بوتشيش: أدب الرحلة والتواصل الحضاري، سلسلة الندوات5، جامعة المولى إسماعيل كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مكناس، مطبعة فضالة، المغرب، (د، ط)،( د،ت).

2- أحمد أبو سعد: أدب الرحلات وتطوره في الأدب العربي، دار الشرق الجديد، بيروت،(د، ط)، 1961م.

3- أحمد توفيق المدني : حياة كفاح، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983م.

4- أحمد محمد سالم: صورة الغرب في الخطاب الإصلاحي الديني تعايش أم مواجهة ضمن كتاب العلاقة مع الغرب من منظور الدراسات الإنسانية ، عالم الكتب الحديث، الأردن ، ط 1 ، 1430هـ/ 2009 م.

5- أرسطو: الخطابة، ترجمة عبد الرحمن بدوي، وكالة المطبوعات، دار القلم، بيروت، لبنان، 1979م.

6- إسحاق بن ابراهيم بن وهب: البرهان في وجوه البيان، مطبعة الرسالة، بيروت، لبنان، 1969م.

7- إلياس الموصلي: رحلة الذهب والعاصفة، تح: نوري الجراح، دار السويدي للنشر والتوزيع، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط01، 2001م.

8- بديعة الحسني الجزائري: الأمير عبد القادر حياته وفكره، وزارة الثقافة، الجزائر، 1998م.

9- جابر عصفور: الغرب بعيون عربية : الكتاب العربي ، الكويت، يناير ، 2005م .

10- جبور عبد النور: المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، (د، ط)، (د، ت).

11- حسن حنفي: جدل الأنا والآخر ، دراسة في تخليص الإبريز للطهطاوي ضمن كتاب صورة الأنا والآخر ناظرا ومنظورا إليه ، تحرير طاهر لبيب.

12- حسن محمد فهيم : أدب الرحلات ، عالم المعرفة سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت ، يناير 1979 م.

13- حسن محمد فهيم : أدب الرحلات، عالم المعرفة سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، يونيو 1989 م.

14- حسني محمود حسن: أدب الرحلة عند العرب، دار الأندلس، بيروت، لبنان، ط02، 1983م.

15- حسين نصار: أدبيات أدب الرحلة، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، مصر، ط1، 1991م.

16- خير الدين التونسي : أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك المؤسسة الجامعية ، بيروت، لبنان، 1978 م.

17- رابح بلعيد: الخطاب الإصلاحي عند جمعية العلماء المسلمين، دار الهدى، الجزائر، 2008م .

18- رامي منير: الخطابة عند العرب، دار الفكر العربي، بيروت، لبنان، ط1، 2005م.

19- رفاعة رافع الطهطاوي: تخليص الإبريز في تلخيص باريز، الدار المصرية للكتاب، مصر، ط2، 1986 م.

20- الزبير بن رحال: الإمام عبد الحميد بن باديس رائد النهضة العلمية والفكرية، (1889م-1940م)، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 1997م.

21- الزبير سيف الإسلام: تاريخ الصحافة في الجزائر (رواد الصحافة الجزائرية)، مطبعة دار الشعب، القاهرة، مصر، ط1، 1981م.

22- الزركلي خير الدين: *الأعلام*، دار العلم للملايين، بيروت، ط5، 1980م.

23- زكريا بن علي وحنفي هلايلي: الموريسكيون، آثارهم الثقافية وإنتاجهم اللغوي في إسبانيا الموريسكية، مجلة الحوار المتوسطي، مخبر البحوث والدراسات الاستشراقية في حضارة المغرب الإسلامي، جامعة الجيلالي ليابس سيدي بلعباس، الجزائر، مج10أ ع1، 2019م .

24- سالم بن لباد: مالكي سميرة، أدب الرحلات الحجازية الجزائرية غي القرن الثامن عشر الميلادي أنموذجا، مجلة لغة – كلام، المجلد07، العدد02.

25- سعيد بن سعيد العلوي : أوروبا في مرآة المرحلة ، صورة الآخر في الرحلة المغربية المعاصرة ، دار السويدي للنشر والتوزيع ، الإمارات العربية المتحدة ، ودار الأهلية للنشر ، عمان ، الأردن ، ط 1 ، 2006 م.

26- شعيب حليفي، الرحلة في الأدب العربي، التجنيس، آليات الكتابة، خطاب المتخيل، شركة الأمل للطباعة والنشر،( د ط)، 2002م .

27- شوقي ضيف، الرحلات، دار المعارف، القاهرة، ط4، ( د، ت).

28- صلاح الدين الشامي: الرحلة العربية في المحيط الهندي،مجلة العالم الفكري، العدد 4، دمشق، جانفي 1983م.

29- ابن صيام: الرحلة الصيامية (رحلة سليمان بن صيام إلى بلاد فرنسة)، تحقيق وتقديم خالد زيادة، (د، ط)، دار السويدي للنشر والتوزيع أبوظبي، 2005م.

30- طاهر درويش: الخطابة في صدر الإسلام، ج1، دار المعارف، مصر، ط2، 1968م.

31- عبد الجليل التميمي: الحياة الثقافية في المغرب العربي خلال العهد العثماني، منشورات جامعة منّوبة، تونس، 1984م.

32- عبد الحفيظ بورديم: روعة البيان في كتابات الإمام الإبراهيمي، مجلة الوعي، دار الوعي للنشر والتوزيع، الجزائر، العدد ، 2010 م.

33- عبد الحميد بن باديس: الآثار الكاملة، ج2، تحقيق: عمار طالبي، دار المعرفة، الجزائر، 2005م.

34- عبد الرحمن بن إبراهيم العقون: الكفاح القومي السياسي من خلال مذكرات معاصرة 1929-1936، المؤسسة الوطنية للكتاب .

35- عبد الفتاح محمد وهيبة: جغرافية المسعودي بين النظرية والواقع، القاهرة، سلسلة المعارف، الإسكندرية، مصر،1995م.

36- عبد الله الركيبي: تطور النثر الجزائري الحديث (1830- 1962)، (د، ط)، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب 1983م.

37- عبد الملك بومنجل: النثر الفني عند البشير الإبراهيمي بيت الحكمة للنشر والتوزيع، ط1، 2009م.

38- عبد الملك مرتاض: فنون النثر الأدبي في الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، (د،ط)، 1983م.

39- علي إبراهيم كردي: أدب الرحلة في المغرب والأندلس، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق،( د، ط)، 2013م .

40- عمر بن قينة : اتجاهات الرحالين الجزائريين في الرحلة العربية الحديثة، ديوان المطبوعات الجزائرية، بن عكنون، الجزائر،(د، ط)،( د،ت).

41- العيفة خطوي: أدب الرحلة في التراث الجزائري مجلة بدايات العدد1 المجلد5 جامعة عمار ثليجي الأغواط، الجزائر جانفي 2023 م.

42- فتح الإله ومنته: تحقيق محمد بن عبد الكريم، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1990م.

43- الفضيل الورتلاني: الجزائر الثائرة، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2009م.
44- فؤاد قنديل: أدب الرحلة في التراث العربي، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة، ط02، 2002م.
45- أبو القاسم سعد الله: أحاديث في الثقافة والتاريخ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1988م.
46- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998م.
47- أبو القاسم سعد الله: تجارب في الأدب والرحلة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط3، 1990م.
48- أبو القاسم سعد الله: رحلات ومشاهدات، منشورات عالم المعرفة، الجزائر، 1981 م.
49- أبو القاسم سعد الله: في الأدب الجزائري الحديث، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1993م.
50- أبو القاسم محمد الحفناوي: تعريف الخلف برجال السلف، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، أبو ظبي، (د،ط)، 2009م.
51- أبو القاسم. سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج4، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998م.
52- قويرح عبد السلام: أدب الرحلة في المغرب والأندلس، منشورات كلية الآداب، الرباط، 2001م.
53- لمبروك أعمر: الفضاء المديني وأثره في التشكيل السردي رحلة العبدري -أنموذجا-، مذكرة لنيل درجة الماجستير في الأدب المغاربي، جامعة مولود معمري، تيزي وزو،2013.
54- مبروك زيد الخير:الإمام الإبراهيمي في شعر محمد آل خليفة، مجلة الوعي، دار الوعي للنشر والتوزيع، الجزائر، العدد 2، 2010 م.
55- محمد أبو ارس الناصر العسكري: الدرة الأنيقة في شرح العقيقة، تحقيق: أحمد أمين، مركز البحث في الأنثروبولوجية الاجتماعية والثقافية، وهران، الجزائر،( د، ط)، 2007م .
56- محمد أبو زهرة: الخطابة أصولها تاريخها في أزهر عصورها عند العرب، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، 1433هـ/ 2012م.
57- محمد البشير الإبراهيمي: عيون المقالات، ج1، دار الأمة، الجزائر، 2003م.
58- محمد التنوخي : فن الكتابة والقول ، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط 1 ، 1423هـ / 2000م.
59- محمد بن الحفصي: الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني، الجزائر: دار الهدى، 2004م.
60- محمد الهادي الحسني: علماء الجزائر: أعلام الإصلاح والتنوير، دار الأمة، الجزائر، 2010م.
61- محمد بن سعود الحمد: موسوعة الرحلات العربية والمعرفة المخطوطة والمطبوعة معجم بيبليوجرافي، القاهرة، ط1،2007م.

62- محمد بن شنب: فهرس مخطوطات الجزائر في العهد العثماني، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1983م.

63- محمد بن قاسم بوحجام: من أساليب السخرية في أدب الإبراهيمي، مجلة الوعي، دار الوعي للنشر والتوزيع، العدد 2، 2010م.

64- محمد عبادي: الرحلة في الفكر المغاربي الحديث، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 1998م.

65- محمد غنيمي هلال: النقد الأدبي الحديث، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1973م.

66- المقري أحمد: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1968م.

67- مهداوي: البشير الإبراهيمي نضاله وأدبه، دار الفكر ، دمشق، سوريا، ط1، 1988م.

68- مولاي بلحميسي: الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر، ط 2 (د، ت).

69- مولود عويمر: الرحلة الصينية عالمان جزائريان في بلاد الصين، شركة الأصالة للنشر والتوزيع، الجزائر، (د،ط)، 2018 م.

70- نورة رحموني و سعاد شابي: الرحلة والرحالة في الأدب الجزائري،مجلة رفوف، العدد2، المجلد 7، جامعة الجزائر، جوان 2019م.

**ب- المراجع المترجمة:**

71- أرسطو: الخطابة، ترجمة عبد الرحمن بدوي، وكالة المطبوعات، دار القلم، بيروت، لبنان، 1979م.

72- إغناطيوس يوليانوفيتش كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ترجمة صالح الدين عثمان هاشم، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، (د ط)، 1965م .

**ج- المعاجم والقواميس:**

73- الفيروزآبادي: القاموس المحيط، مادة (ر، ح، ل)، تحقيق مكتب تحقيق التراث بإشراف محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة بيروت، لبنان، ط8، 1426هـ/2005م ، ص383.

74- أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري: أساس البلاغة، دار الفلك، بيروت، لبنان، 2000م .

75- محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين ابن منظور : لسان العرب، دار صادر بيروت لبنان، ط4، 2005م.

76- مجدي وهبة كامل المهندس: معجم المصطلحات العربية، مكتبة لبنان، ساحة رياض الصلح، بيروت، لبنان، ط2، 1984م.

77- محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين ابن منظور: لسان العرب المحيط، مادة ( ر، ح، ل)، إعداد يوسف خياط، دار لسان العرب، بيروت، لبنان.

78- نورة بوجلال: رحلات الحج في الجزائر خلال العهد العثماني، دراسة في الدوافع والمسارات"، مجلة الدراسات التاريخية والاجتماعية، عدد 6، جامعة الوادي، 2016.

79- يوسف وغليسي: في ضلال النصوص، تأملات نقدية في كتابات جزائرية، جسور للنشر والتوزيع،المحمدية، الجزائر، ط1، 2009م.

**د- المواقع الإلكترونية:**

80- أحمد بن عبد المحسن عساف: رحلات الحج في كتب العلماء والأدباء المستشرقين. https://r.search.yahoo.com ، 25 نوفمبر 2024،على الساعة 21:13

81- محمد فيضي : التعريف بفن الخطابة، https://mawdoo3.com/ ، يوم الأحد 15 فيفري 2025م، على الساعة 20:22 .

# فهرس الموضوعات

**فهرس الموضوعات :**


| | |
|---|---|
| **- مقدمــة** | 3 |
| **1- مدخل عام عن الخطابة والرحلة** | 6 |
| **2- بدايات فن الخطابة في الجزائر** | 14 |
| **3- أعلام فن الخطابة** | 22 |
| **4-جماليات فن الخطابة** | 31 |
| **5- موضوعات فن الخطابة** | 36 |
| **6- فن الرحلة وخصوصياته** | 43 |
| **7- فن الرحلة في الجزائر** | 65 |
| 8- **أعلامه** | 70 |
| **9- خصوصياته الفنية** | 76 |
| **10- موضوعات فن الرحلة في الجزائر** | 81 |
| **11- الرحلة نحو الحج** | 90 |
| **12- حضارة الشرق (الصين، الهند...) في الرحلة** | 95 |

| | |
|---|---|
| **13- دول المشرق العربي في الرحلة** | 99 |
| **14- الغرب(أوروبا- أمريكا) في الرحلة** | 106 |
| **- خاتمــة** | 110 |
| **- قائمــة المصادر والمراجع** | 113 |
| **- فهرس الموضوعات** | 120 |